عزيزتي ريتا

تأليف

طه ثابت

اسم الكتاب/ عزيزتـــي ريتـــا
الكاتب / طه ثابت
الطبعة الأولى 2019
تصميم الغلاف : محمد محسن
المراجعة اللغوية : سامح سرور
رقم الإيداع : 2019/16483
الترقيم الدولي: 4 - 43 - 6727 - 977 - 978
التصنيف: رواية
الناشر : السعيد للنشر والتوزيع
المدير : لميـــاء السعيـــــد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

01550096215 - 0222017260

elsaidpublisher@gmail.com

(المقدمـــة)

ريتـا أهابهـا أكثـر مـن المـوت فهـو رحمـة للأحيـاء وهـي عذاب لمـن سـحر بهـا، لا ينبـض القلـب وريتـا تجعلنـي أرتجف من شـدة النبض، لا يذهـب العقل ولا يـدروش العاقل وهي تذهب كل شـيء، أهابهـا كدرويـش خـاف أن يسـترد عقلـه، كمجنـون خاف أن يسـترد ذاكرتـه، أو حتـى سـكّيرٍ غـارقٍ فـي بحـور مـن الخمـر وأي خمـر يجعلني سكيراً دون تذوقه! أي حب ذاك يجعلني متيمًا بها.

ذات ليلـة دعـوت اللـه بـأن أتـذوق كأس الهـوى علـي يديهـا وتذوقتـه، والآن أتوسـل إليه بـأن يتم تغسـيلي بذاك الـكأس وتكفيني بالثيـاب التـى ارتديتهـا عنـد أول لقـاء بيننـا، عنـد رحيلـي لا أريد أن يقـف أحـد بجـواري سـواها فلـن يعتنـى أحـد بجسـدي مثلهـا، سـيتعامل معـي الجميـع كجثـة راقـدة لـن تتأثـر بقسـوتهم، أمـا ريتـا ستشـعر بمـا أمر بـه فلن تصـدق موتي، سـتجعلني جثـة مزينـة طاهرة ببراءتهـا، لقـد سـلمت روحـي لها وأنـا حـي فكيـف لا أطمئـن إليها وأنا ميت، أثق بها كثيرًا وأعلم بأنني الآن في يديها الأمينتين .

إهـــــداء

إلى بيتي الأول فريق حياتك وحياتنا

إلى رفيقة أحلامي المجهولة أنتظرك بشدة

إلي جميع أصدقائي المخلصين

يعلم الله كم أحبكم ولا أستطيع العيش بدونكم

إلي رفيق الكفاح محمد دسوقي

إلي رفيقة الرحلة ردينه شريف

جميعكم أركان جيشي لكم مني المحبة والإخلاص

«عزيزتي ريتا»

وجدت في بريدي تلك الرسالة قد أُرسِلت من مجهول، لا أستطيع تفسيرها ولا أعرف لماذا أرسلها لكِ، ربما ظننت أنها منكِ لكني أعلم بأنك لن تراسليني أبدا.

مرحبًا صديقي العزيز تذكّر ذاك المشهد وتمعن فيه جيداً فربما يكون حظك أفضل مني، فقد كاد أن يحترق من الداخل بعد فقدان كل شيء، رأى نفسه في مشهد هزلي كتب من مؤلف عبثي قرر أن يقضي عليه بقلمه الساذج بدأ المشهد بالخيانة ليست خيانة الحبيب ولا الصديق كل ذلك هراء يا صديقي؛ وهم كاذب يكتب في الروايات لتسلية القراء، أنا أتحدث عن خيانة قاسية لا تُغفر أبدا، عار يبصم على جبين صاحبه إلى النهاية.

أتعلم أننا نخون كل يوم؟ نعم ليس من العدل أن نخون أحلامنا، قيمنا، طبيعتنا، نحن كبشر هذه الخيانة الطبيعية التي تجعل حياتنا بلا منطق، لا شيء يجبرنا على خيانة أنفسنا بهذا الشكل المرعب، ليس من العدل أن نترك كل من تراوده فكرة أن يجرح فيأتي ليجعلنا تجربة لأهوائه ويفعل بنا ما يريد، ليس من العدل أن نتنازل عن كرامتنا تحت مسمى «شماعة العشرة» أي عشرة تجعلنا فئران تجارب لأهوائهم فهذا هراء وضعف تظنه يداوي جروحك.

«دعني أتركك الآن لتفكر ولن أنظر لك قبل أن تتخلص من ذاك العفن المدمر لك ولمن حولك»

المرسل
فاعل خير

***

«عزيزتي ريتا»

كنت أتصفح كتابًا أثق بمؤلفه جيدًا فوجدت خطاباً إعتقدت أنه يخاطبني ولا أعرف أيضًا لماذا أرسله لكِ ربما طمعاً في عطفكِ وشفقتك فتكذبي ذاك الخطاب لأكف عن تدمير نفسي.

«أعلم أن الحياة ليست كما تعتقد أبدًا، ربما تفشل جميع خططك وتغرق أحلامك، وتنجو أنت مبعثرًا بلا شغف أو وجود، حتماً ستطفئ شموع الأمل بداخلك، خطابي أكتبه وأنا في قمة يأسي وأسفي بما يحدث لنا، الحياة لا تقسو عليك بمفردك فالجميع يعاني، نحن موتى نعيش في إنتظاره لا شيء أكثر من ذلك، فلا تعتقد بعد موتك أن أحدًا سيتذكرك بل سيأتي لك جالسًا، توقف لن يأتي ليذكّرك بأنك لا زلت بمخيلته هذه سخافة منك فلا تدع خيالك الساذج يسيطر عليك، بل سيأتي جثة راقدة بجوارك لينتظر مثلك.

أرسل خطابي لتعلم أن العالم لا يُنصِف الطموحين ولا يحبهم، العالم ليس عادلا بالمرة يشرد أحلامنا دون شفقة، لا تكذب على أبنائك أكثر من ذلك وكف حديثك المضحك عن السعادة وإرادتنا بصنع حياتنا كما نريد، الحياة لا تترك شيئا لنختاره، هي من تؤلف وتكتب النهاية، نحن فقط عرائس لعينة تحركها بأهوائها والكارثة أننا لا زلنا مغرمين بها لذلك تصفعنا وتسعدنا متى تشاء.

أحذرك ألا تفكر في البطولة لأنها ليست من حقك ولن تنالها، أريدك مستمعًا جيدًا حافظاً لنصوصها كي تتقن مشاهدك قبل انتهاء دورك...

***

«عزيزتي ريتا»

أخبركِ بأن الحياة تتلخص في عربات قطار يسير على قضبان حديدية صلبة لا يرى أمامه سوى النهاية، يتوقف عند كل محطة لبضع ثواني فيرحل عنه من يرحل ويحل محله غرباء جدد يجلسون في نفس أماكن أسلافهم.

تعلمين يا ريتا قوانين القطار جيدا ، من يجد مقعدًا فارغاً فليجلس عليه في صمت، ولا يسمح لضيوفه بالتحدث معاً أو حتى التعارف باللسان فدائما يشوش عليهم بأصوات قضبانه

المزعجة، لا يهم من أنتِ وأي لغة تتحدثين فالمسافر يترك كل شيء عند دخوله واللغة التي يتواصل بها هي العيون، نعم اتركي كل شيء وانظري إلي أعين من حولك ستجدين مجرى أحداثهم، ترِين المحبط الكئيب الفقير المجروح العاشق ، ستَرينِ من يريد الهرب من حياته ولو للحظة سوف ينظر من نافذة القطار إلى الخارج وبعد مرور لحظة ستشتعل أفكاره كلما إزداد صوت تلاحم القطار مع القضبان فتثير أحداثه بشكل عشوائي، ترِين الباعة الجائلين وملايين من القصص والحكايات في كل عربة، أبطالهم جالسون على مقاعد تتجدد كل محطة إلى نهاية الرحلة.

***

«عزيزتي ريتا»

لقد رحل ذاك الدرويش غريب الأطوار، مُلهِم قلوب أهل زمانه ومعه روح مولانا ولم يستطع الرومي تحمل فراق روحه فبكي كالأطفال وظل يناجيه ويغازله حتى وصل به الحال بدفع مبالغ كثيرة إلى عازفي قونية لكي يلمح روحه في غنائهم، لقد صار الرومي حكيم زمانه جسدًا وكأن التبريذي سَحَره ورحل بروحه فقد صار يهتف بين الناس يا إخوتي المسلمين هل فيكم من شهد الملاك الهارب!

أنا أبحث عن أدني أثر لشمس الدين، وروحي هي المكافأة لمن يدلني عليه، الرومي نابغة عصره يناجي شيخاً عجوزًا صوفياً

ويبحث عنه في كل مكان وكل نغمة يسمعها وكل دعاء يناجي ربه من أجل عودته مرة ثانية ذلك القلب الصافي يا ريتا، الذي إذا أحب فنيَ في محبوبه، وأنا أحببتك وفنيت بقلبك وصرت كالرومي جسدًا بلا روح أبكي لهجرك ولا أتحمل فراقك ولا أجد من يشفق عليّ بعدك، لا تطيلي في الغياب يا ريتا فالموت يحاصرني ولا أريد أن أدفن إلا بيديكِ...

***

«عزيزتي ريتا»

قرأت بأن النجاح يأتي لمن يثق بذاته ويؤمن بأفكاره ورغبته دائمًا مشتعلة فيما يطمح إليه وأن السلام الداخلي والسعادة الأبدية يمتلكهما من يتحكم في مشاعره حينها صُعِق قلبي ودمعت عيناي وأدركت بأني سأظل بأسا ذليلا في الحياة بدونكِ، كيف أثق في ذاتي وأنتِ ذاتي، أي سعادة ستأتي وأنتي من تتحكمين في مشاعري وتمتلكين جميع مفاتيحي أتقوى بفرحك وأضعف بحزنك، لقد فقدناك بكل شيء.

تعلمين يا ريتا أنكِ الفرشاة التي رسمتُ بها أحلامي والألوان التي أضاءت خيالي، كنت أحسد نفسي دومًا وكيف لا أحسد وقد صرت محببًا لقلبك، أرقص فرحاً في الأرض وأحكي للجميع أنني امتلكت الهوى والهوى امتلكني لقد أصبحت ثرثاراً بكِ

ودرويشاً في مواويلك، قد حل قلبي موضع عقلي فأصبحت أعيش بلا عقل فلا أريد التفكير بعد الأن فأنا أثق بقلبي جيدًا حتماً سأتبعه في كل خطوة يتخطاها، ذكرياتٌ ملتهبة تمر أمام عيني فتفقدني البصر ببطء وكأني أدفع ثمن ثرثرتي للجميع عنكِ، حتى الأن لا أعرف لماذا افترقنا، لماذا ضاع كل شيء؟ لماذا تجمدت أحلامي، لماذا بهتت ألواني، عقاب لا أستحقه يا ريتا إني أحبك ولم أرتكب خطئا لبعدك، فأي خطيئة وقعتُ بها حتى أكفر عنها، تحدثي فقد عجزتُ عن لغة العيون ببعدك، إصرخي في وجهي، عاتبيني، ألقي اللوم عليّ ولا تتركيني للشك يمزق في جسدي.

***

«عزيزتي ريتا»

أكتب لكِ وأنا جالس على الأطلال أبكي طمعًا في اللقاء داعيًا الله ألّا يفوت الميعاد، ربما ألقاكِ غدًا أو بعد غد، لا أعلم بحيل القدر لكني تأكدت بأن هجرك لن يجعلني أنسى هواكِ وكيف أنساه وهواكِ صار غلاباً وتمر الأيام في بعدك كسنوات، ربما فسرت نظراتك بالسلام فلم أشعر بأنها مليئة بالوعود والألآم، أعترف بأني مخطئ في حقك، نعم لقد دارت الأيام وأرهقني الحنين إليكِ حتى وصفوا لي الصبر، وأي صبر يجعلني أهرب ولياليا في كل مكان، لا تتركيني وحيدًا فلا يعز عليك

الخصام وأنا والله اكتفيت بالعناد، صرت أطلب منكِ السماح، سينير القمر بفرحنا أكثر فأكثر، سترقص النجوم وتظهر لتبارك لنا، حتى الشجر ستنبت فروعه وتخضّر قبل الموعد ستكون قصتنا كألف ليلة وليلة وستشهد الشمس على المعاناة.

يا ريتا لقد سئمت من نفسي ومن الحياة فلا فرار ولا فراق منكِ، من الان ستضمنا الحياة لنُحيي كل ما تلف حزناً علينا.

***

«عزيزتي ريتا»

صدقت كوكب الشرق عندما تعالت صيحاتها وهي تشكو معاناتها مع فراق الأحبة، كيف كانت الحياة قاسية عليها وكأنها تعبر عن فقداني بكِ:

«أروح لمين ومين هيرحم قسايا، وأقول يا مين ومين هيسمع ندايا»

اعتقدت بأن تلك الأغنية ألفت من أجل حرماني منكِ، الحياة ليست عادلة بالمرة لا تعطي لنا ما نتمناه، دائماً في عناد وخصام معنا، وتعلن انتصارها قبل بداية كل جولة.

لعينة هي الحياة بأساليبها المخزية تجعلنا نطمئن فنرسم أحلامًا تبهجنا وتسعدنا فنشعر أننا نمتلك الحياة ثم فجأة تسرق منا كل شيء لنفقد الثقة بأنفسنا بأحلامنا ونستسلم لها فتفعل بنا ما تريد.

يـا ريتـا لقـد سـرقتكِ الحيـاة منـي فكيـف أطمئـن لهـا مـره ثانية، تعلميـن أننـي لا أسـتطيع العيـش بدونـك ولا أجـد مـن يشـعرني بالأمان سـواكِ، لقد تعمـدت الحياة تعجيـزي لترغمني علـى طاعتها، كانت تغـار من حبـي لكِ فتعلـم جيـدًا أننـي لا أحبها ولا أحب شـيئا غيـرك، صـارت بيننـا أحاديـث كثيـرة وكنـت أردد لهـا دائمـا أننـي أحبـك ولـم ولـن أحـب غيـرك، مـن ينصفنـي مِـن الحيـاة وينقذنـي سـواكِ، يجب أن تعودي كـي أواجهها وأرغمهـا بكِ ونعلـن انتصارنا فتزيننا هي أو ترحل عنا...

***

«عزيزتي ريتا»

أتذكريـن تلـك الرسـالة حيـن تنافسـنا علـى مـن سـيفوز بوصـف الأخر، واستغرقت في وصفك ليالي كثيرة ولم انتصر.

ريتا فتاتـي المغرورة بقلبهـا والنرجسـية بذاتها، تتعالـى الأنا لديها فتفخـر وتمـدح وكأن العالـم يركـع لهـا وجميعنـا هـالات نـدور في مدارهـا، لا أحـد يتمرد علـى جذبها ولا يخطـئ مسـارها، كانت تعلم بـأن قلبهـا يسـلب عقـول مجالسـها، يسـحر ويفتـن، يغـزو ولا يحرر يفـرق ولن يجمع أبـدًا، ملهمـة عصرها يتسـابق عليها شـياطين الجان ليأتوهـا بشـعر تنطـح بـه السـماء، عرابـة فصيحـة بلسـان يفصـح بطلاسم لا تكتب ولا تقرأ بل تترك أثراً بداخلنا.

حيـن تتحدث يجلـس حولها المريـدون من هنـا وهناك ليتنافسـوا علـى فهم حـرفٍ مـن كلماتهـا، ليسـت بعربيـة ولا أعجميـة لا تعرب ولا تراعـي قواعد الدؤلـي بلغتها، قـد امتلكـت قاموسـاً بمفردها ولا يعلـم أحد من أيـن جـاءت بـه. كانت قاسـية علـى عشّـاقها تدعوهم بالحمقـى وتهجوهـم فـي الصبـاح والمسـاء، لـم يسـلم أحـد مـن هجائهـا ولم يُشـف أحد مـن غزلها، لـم يمتلك أحـد منا عقـلاً لنفرق بيـن غزلهـا وهجائهـا كنـا نتأمـل عينيهـا لنسـقي بخمرها فنـذوب وتذوب معنـا همومنـا، شـعرها يجـري بدمائنـا فـإن توقفـت سـقطنا نحـن أمامها، فـلا مكانـا لأحمـدي ولا شـداد ولا كلثـوم حتـى أبـى الطيـب رحـل عـن حلـب خجـلاً منهـا، أتذكـر حيـن تفاخـر المتنبي بنفسـه أمـام سـيف الدولـة فألقاه بحجـر هشـم وجهـه ليكـف عـن كبريائـه وغـروره فاندهـش الجالسـون حيـن تسـارعت هـي أمامـه ووقفـت لتتفاخـر بجمالهـا وبشـعرها وبنفس حجـر المتنبي هشـمت رأس ذاك السـيف اللعيـن، كانت تعشـقه وتكره كل من يتطـاول عليه، لـم يفهـم هـو ولـم يُشـفَ منهـا فشـياطين الطيب كانـت دائمـاً تعجز عـن وصفهـا ففر منهـا هاربًـا فهو ليـس بشـداد ليغـزو قومه مـن أجل عبلتـه وليـس بفـارس يطعـن سـيفه بقوة فـي قلـوب أعدائه بل شـاعر يهجـو ويغـزو بقصائـده، بـارع فـي مـدح نفسـه، حتـى طعـن بسـيف قصائده فقُتِل وكيف قتل وهو من قال:

«الخيـل والليـل والبيـداء تعرفنـي، والسـيف والرمـح والقرطاس والقلـم» وهـو مـن رثـي: «يظـن أن فـؤادي غيـر ملتهـبٍ، وأن دمـع

عيوني غير منسكبٍ، قد كان كل حجاب دون رؤيتها فما قنعتِ لها يا أرض بالحجب».

***

«عزيزتي ريتا»

أخبرك بأن أحلامي لم تتحقق وأن العالم مازال ينفر مني ويجهل بهويتي، انطويت بما يكفي بعد فقدانك لم أعرف لماذا لا أستطيع التعامل مع البشر، أشعر بأن شيئاً ما سُلِب مني افتقده معكِ ولن يعود بدونك.

الحياة قاسية بالمرة لم تحترم ضعف خصمها ولم ترعاني وظلت تطعن بجراحي، أتذكر حديثك عنها عندما بكيت في حضنك ذات ليلة حين تحدثتي في أذني بصوت منخفض:

«الحياة تحبك يا صغيري»

«الحياة تحبني وأنتِ تعشقينني»

دعوت الله بأن من يحبني يكرهني، كيف يفعل من يحب في محبوبه كل ذلك! لقد طاحت الحياة بي واستغلت جراحي وكان الرد تمهل إنها تحبك حتى أنتِ يا ريتا لم أسلم منكِ تركتيني وحيدًا وكان الحنين في خلوتي يردد:

«إنها تحبك»

كيف تدعون أن هذا هو الحب وأن من يحب لابد أن يتمهل..

***

«عزيزتي ريتا»

جلست على أريكتي ليبدأ كالعادة ذلك الفيلم الباهت بأحداثه اللعينة، يجبرني على مشاهدته ولا أستطيع إيقافه أو حتى تجاهل محطاته كان يأسر عقلي ويحدد موعد سهرته ومتى نهايتها إن شاء، وددت يوماً بأن أمزقه أو أخضع نفسي لعملية جراحية ليختلع ذاك الشريط من عقلي فأتحرر منه...

يبدأ ذلك الفيلم بسيناريو ساذج كعادة مخرجي صناع السينما «العاشق عدو لعشيقته حتى يجمعهم حدث ما فيعلن عشقهم.

ريتا محتلة قلبي أوجه نداءً لكِ، أرجو أن تعودي لغزوي لا أستطيع الحياة بدونك تعلمين كيف كنا أعداءً فأصدقاءً فعشاقا وانتهينا كما بدأنا، كانت الحياة شابة بروحك البريئة وتفتحت الورود بحديثك العطر، كانت الدنيا جمادًا تنصت لثرثرتك.

اشعلت سيجارة بقداحتي فاشتعلت معها جميع ذكرياتي البائسة، لا أعرف ماذا حدث وماذا سيحدث أصبحت كالأرض اليابسة التي انجرفت بعد رحيلك، أريد أن تأتي بفيضانك حتى أغرق به، نعم سأكون سعيداً عندما أموت بجوارك.

تذكرت حديث إحدى المريضات التي أعالجها «تخيل لم أستطع إنقاذها، تخيل أعلم بأن المرض يفتك بها وأنا طبيب

لا أستطيع حتى أن أحدد مرضها» حديث الطبيب العاشق الذي يشفي الجميع ببراعته ولم يستطع شفاء عشيقته.

كان يحكي قصته وأنا شاردٌ بكِ فلا أستطيع حتى مواساته، كان يعلم أنه إختار الشخص الخطأ ليستمع إليه، لكنه ظل يحكي ويسرد ما بداخله ربما يُشفي من صمتي...

***

«عزيزتي ريتا»

جلست على شاطئنا المفضل والذي شهدت رماله لقاءنا الأول، كان المشهد حزينا بائسا يشاركني فراقك، يشتكي ماذا حدث بعد فقدانك، حتى البحر صار غاضباً فقد تعاركت أمواجه لتعبر عن غضب سيّدها، أصواته كانت تصرخ في وجهي وتسألني عنكِ، كنت تتواعد معها كل شتاء وتجلس أمامي لتطهركم مياهي لِما جئت بمفردك! اذهب واحضرها معك..

كان الجو كئيبا نظرت إلى السماء فوجدت القمر يختبئ خلف سحابة سوداء بها ثلاثة أشباح ينظرون نحو النجوم ويمدون أيديهم ويصرخون من خطر ما يواجههم، أهملتهم النجوم ولم تنظر إليهم وظلت ترقص على نسمات الهواء البارد الممزوج بصرخات الأشباح في مشهد دراماتيكي مهيب، كنت أُحدّث البحر وأخبره كم أنا مشتاق لعناقك، رأيت ذلك المشهد اللعين

يعرضه في صورة واضحة ، محكمة يرأسها هو وينفذ حكمه بمساعدة أمواجه اللعينة، محاكمة ساذجة ليست عادلة بالمرة تشبه ما خطر ببالكم الأن.

كان على الأشباح الثلاثة السكوت حتى يصدر اللعين الحكم وعلى الأمواج تنفيذه، حينها همس شيء ما في أذني يحذرني من خطر قادم.

تعلمين يا ريتا كم أحب رفاقي، هم روحي عند فقدانها، عكازي الذي أتكأ عليه، ربما تشكلت ملامحي من ملامحهم وعانقت روحي أرواحهم وصار جسدي جزءا من أجسادهم، حتى قلبي يميل لهم في أشد خصامنا، فأحلامنا واحدة وطريقنا نسير فيه يدا بيد ومصيرنا لابد أن يصبح مصيرا واحدا فلن أستطيع الحياة بدونهم...

لم أحب السباحة قط وكنت أفضل دوما العوم على الشاطئ بين الرمال حتى أهرب من سخرية أصدقائي لخوفي من غدر المياه، كان سيف ينظر نحوي وهو يتعمق في عرض البحر ويصيح ما هذا الجبن تجرأ وسأعلمك السباحة! يصرخ كريم وتعلو ضحكات ناصف متمتما بسخرية اتركه على الشاطئ يسبح كالأطفال وأنا أنظر إليهم في غيظ ومكر سوف آتي إليكم، ظل البحر ينادي بخبث، هل من غريق ألتهمه لأسد جوعي واكتم غيظي وأهون عليكم شري؟

تعلميـن يـا ريتـا أن الغريـب عـن سـواحل البحـار لا يعرف شـيئا عن غدرهـا، لبى النـداء أصدقائـي الثلاثـة وانخدعوا بمنظـره الغريب فقـد اشـتد البـرد فـي ذاك الوقـت وأمطـرت سـماء فبرايـر بغـزارة وصاحت الأمواج صيحات تجذب المغرمين بالسباحة.

بـدأ رفاقي يسـتمتعون وينـادون أنفسـهم ثـم يمسـك كل واحد منهم يـد الآخـر ليتحـدوا أمـام الأمـواج فتحملهـم وتلقـي بهم في أماكن متفرقـة وكأنهـا تخاف مـن وحدتهم، ظل المشـهد يسـير في بـطء ضحـكات هنـا وهنـا وعنـاد وتصميـم علـى عـدم خضوعهم للأمـواج، كان المشـهد كئيبـا أبطالـه رفاقـي وضحيتـه أنـا، ظـل رفاقـي الثلاثـة يصارعون الأمـواج إلـى أن غـدر البحر بهـم بعد أن طمئنهـم بخبثه، بدأ يسـحبهم نحـوه ثم يلقيهـم ثم يسـحبهم إلى أن فقـدوا جميعـاً سـيطرتهم فحاوطهـم بصخـوره الحـادة وبـدأوا ينظـرون إليهـا فـي هلـع وذهـول منهـم، كان (سـيف) عنيـداً قاومه بشـدة حتى أنـه تمتم بالشـهادة ثـم قاوم مـرة ثانيـة فصـرخ أغثني يا ألله ونظر إلـى (ناصـف) ليودعـه ويمد يـده ليلمسـه فيطمئنـه بأننا سـنتقابل فـي الجنـة ظـل يسـرد شـريط حياتـه كامـلاً ويكثـر فـي الشـهادة حتـى أن فقـد وعيـه ثـم تأتـي قـوة لناصـف سـاعدته بالإفـلات مـن يـد السـجان وهـرب إلـى الشـاطئ فالـروح عزيـزة علـى صاحبهـا ولكنه من شـدة المشـهد ورهبتـه كاد يغرق في شـبر من المياه.

اشتد البحر في غضبه وتعالت صرخات الأمواج فسلم لها ثالثهم نفسه وأعلن استسلامه فداء لروح رفقائه، كان (كريم) مسالماً في حياته يحمل بذور الخير ليزرعها في كل أرض يمر بها، براءته الطفولية كانت دواء وشفاء لجميع المرضى والمجروحين حتى أنا يا ريتا بعد رحيلك كان يخفف عني كثيرا...

بدأ المشهد يتلاشى في صمت حين أصدر البحر حكمه وتم تنفيذه دون رحمة، وصعدت روح رفيقي (كريم) واختلعت معها روحي، مشهدٌ قاسٍ لن أجد كلاما يصفه في قواميس اللغة بأكملها، كيف يمكن أن تتركك قطعة من جسدك وترحل عنك وأنت تعلم بأنها لن تعود، وبفقدانها لن تستطيع العيش، كيف تتذوق الموت وتواجه سكراته ثم يتركك ويأخذ روحاً أعز من روحك، هكذا هو الموت البارد لكم، لن تبقى حياتكم كما كانت عليها ولن تستطيعوا الفرار مني رددها البحر كثيرا عند رؤيتهم.

لم يكتفِ البحر بجبروته ولم يحرر لنا جثة كريم حتى بعد أن قبض روحه، بل أراد أن يكيد أهله وأحبابه ويلقنهم دروسا لا تكتب إلا بدمائهم جاءت والدته تزحف على الشاطئ تصرخ وتنادي فلذة كبدي ويستمع إليها البحر صامتَا في مشهد مميت ثم يلقي بأمواجه نحوها ليفزعها فتزداد هي بكاءً وحسرة فتفوض أمرها لربها حتى أن فقدت وعيها وسقطت على الأرض.

لقد هشم البحر ظهر والده، وبدأت أمواجه تنافسه بشدة ، صراخ يخرج منه وأشباح تردد لن يستطيع أحد النزول، لن يجرؤ أحد على الاقتراب.

ظل يلاعبه ويسخر منه فيلقي بقذارته على الشاطئ ليسرع والده في جنون ها هو ابني وترسم على ملامحه الفرح الدامس بالحزن الشديد، الحمد لله سأحضن ابني واجففه بيدي وعند اقترابه يكتشف بأن البحر يعبث معه، كان المشهد قاسيا بالمرة وكأن اللعين يرسل سهاما تصيب كل من ينتظر أمامه.

رفقائي سيف وناصف بعد أن أدركوا الموقف وشعروا بأنه واقع وليس حلماً كما اعتقدوا كثيراً وكما تمنيت، ظلوا يجلسون طوال الوقت أمام البحر ليترجوه بأن يعفو عن كريم، فكرة لعينة وأمر مهين عندما يحطمك أحد ويكسر ظهرك بل عنقك ويحاصرك ويغتصب روحك ثم تقف أمامه وتترجاه أن ينتهي بالمشهد بالبكاء والدعاء إلي الله.

تعلمين يا ريتا أنني أصبحت خصماً له بغدره وبطشه بالأبرياء، لقد تحطمت على يديه وأخذ مني روحاً عزيزة على قلبي ولن أستطيع مسامحته وسوف أسترد ثأري منه، كنتِ تخبريني دوماً أن البحر طاهر يطهر كل من يسبح به واليوم أردت أن أخبرك بأنه ليس طاهراً بل يختار الأرواح الطاهرة لتطهره من دناءته البغيضة، وأنت مثله تختارين قلوباً طيبة لتطهرك من ذنب قتلاكِ.

***

«عزيزتي ريتا»

لم أتصور يوماً ما أن أصير عجوزاً لا حول لي ولا قوة، تتهشم عظامي وتشيخ أفكاري لأصبح عملة قديمة ليس لها نفع أو قيمة، أنتظر كل يوم شروق الشمس لتعلن انتصارها على ظلام الليل وذكرياته البائسة أذهب لأقابل رفيق العمر على أحد المقاهي المخصصة للعجائز لنصطنع المرح فنقنع أنفسنا بأننا شبعنا من الحياة تعلمين جيداً أنني لما أحب ألعاب العجائز الساذجة ومرحهم حتى طريقة تفكيرهم، يأتي لنا شابٌ يافعٌ يظهر على ملامحه الحزن وعيناه تعكس ما بداخله من بطش الحياة، ابتسامته الزائفة للزبائن دائماً تسبقه في الترحيب بهم، ورغم شهادته التعليمية الرفيعة إلا أنه يستطيع صنع أحجار النرجيلة كما يجب أن تصنع.

يا للعجب يولدون ليستيقظوا كل يوم في الصباح من أجل التعليم ثم ينتهي الأمر بتحضير الفحم والمعسل، قطع تفكيري صوت رفيقي هامساً»:

(هتتغلب النهارده وهتحاسب على المشاريب ولا زي كل يوم)

نظرت له كالعادة فرد عليه الدخان الذي امتلأ فمي متمتاً يا له من معسل فاخر، هكسب النهارده وهتشيل كتير.

لـم أحـب هـذه اللعبـة بنردهـا اللعيـن منـذ أن أدركت بـأن حظي قليـلٌ فـي الحيـاة وأن القـدر لـن ينصفنـي، أتذكريـن عندمـا كنـتِ تمارسـين السـحر وتلعبيـن النـرد فـي قلبـي وتحققيـن الفـوز في كل مرة وأنـا الخاسـر الوحيـد في جميـع المعـارك لـم أسـتطع أن أصبح صديقـك المفضـل أو حتـى عـدوك او إرضـاء نـردك فيخزلـك لينصرنـي، تبادلنـا الأحاديـث كالعادة ثرثـرة هنـا وهنا إلـى أن تعالت الصيحـات والتصفيـق الحـار فـي المقهـى فنظرنـا فـي فضـول لنجد رجـلاً يتسـم بالأناقـة يتحـدث عـن الشـباب ويوعدهـم بمسـتقبل مشـرق، حينها عـاد الزمن إلـى الـوراء لأتذكر ثـورات الربيـع العربي التـي جـاءت لتحـرر الشـعوب مـن بطـش حكامهـا، يـا لـه مـن زمن تتشـابه به الأحداث وسياسـة البشـر واحدة، الخداع والكـذب الي أن يصلـوا لأهدافهـم قد كرهـت السياسـة والساسـة واعتزلت كل شـيء بعد اكتشـاف الحقيقة المؤلمـة، أن الحريـة أكذوبة نصنعهـا ونروجها ولا نسـتطيع أن نعيشـها، شـعارات سـاذجة يرددهـا السياسـيون ليخدروا جحافلهم فيركعوا لهم.

حمقـى يلقبـون بالقـادة، مصائـر الشـعوب بيـن أيديهم يمارسـون عليهم الألوهية يسلبون عقولهم ليفكروا مكانهم.

ديكتاتوريـة وبطـش وقهـر لـم أرَ مثلهـم تعلميـن لا فـرق بينـك وبينهـم هـم مارسـوا كل ذلـك علـى شـعوبهم فـي السياسـة وأنـتِ قمتِ بممارسته عليّ من قبل في الحب.

***

«عزيزتي ريتا»

بعد فقدانك وخذلاني أمام الواقع المرير ذهبت مسرعاً إلى خيالي لأراكِ حين رأيت ملامحكِ التي شوهت بأحداث واقعنا صممت بأن أعيد رسمك من جديد تعلمين أنني لا زلت أبحث عنكِ في ملامحهم في كل قصة حب ومشهد، أبحث بين السطور في جميع روايات العالم، كي أجد تفسيرا لما يحدث لنا، أطمع في ايجاد اجابة شافية لمرضي اللعين، بداخلي طلاسم ورموز عجزت عن تفسيرها، لماذا نحن هنا؟ لماذا لا أراكِ بجواري وتجلسين بداخلي وتجمعنا صدفة ويفرقنا قدر! ذات ليلة كنت أقرأ عن جميلة عصور الرومان، هيباتيا التي لم يتبقَ منها سوى جمالها الساحر في الإسكندرية! كيف لهذه المرأة كل تلك القوة ومن أين تملكها، لقد عشقها الجميع كيف كانت تجمع الجميع حولها فيتراقصون من شدة جذبها، كانت كالموسيقى تتناغم مع أرواح عشّاقها فيسقطوا جميعا أمامها، أي سحر لتلك المرأة فقد طبع جمالها بجمال الإسكندرية، نحن نذهب لهيباتيا لنراها لنشعر بها لنتأملها لتكمل أرواحنا فتشعرنا بالراحة والوجدان، شهيدة الحكمة قتلت علي يد أوغاد ماضيها وأنا شهيد في حبك يا ريتا قتلت على يديكِ.

***

«عزيزتي ريتا»

أريد أن اكتب لكِ كلمات لن تعبر أبدا عمّا أشعر به تجاهك، ربما أصبحت عاجزاً عن الكتابة أو قلمي ليس مبدعا كما أظن فلا أَجِد وصفاً في قواميس اللغة فلست متمكنا منها كما تعرفين.

طالما كرهت النحو والبلاغة ورفضت أن أصف مشاعري باستعارات وكنايات لن تزيد الأمر أملا فقد حدث ما حدث، أحبك كلمة لن تفيدك بشيء فالأمر يعنيني أنا، فأنا من أحببت ولهذا لن أستطيع ألوم قلبك ابدًا.

أهرب منكِ وأعلم جيداً أنني أمتلك قدرة الانتظار بجانبكِ ومحادثتك حتى لو كانت تسبب الضجيج، أهرب لأني لا أستطيع أن أتعافي من شدة تأثيرك، ولا أحب الضعف بل والانتظار يكاد يقتلني فعندما أنتظرك حتى تبادلينني نفس الإحساس وأجد ردّك ما هو الا سخرية من مشاعري أردد أن هذه سخافة مني ليس لكِ ذنب في ذلك، ريتا أكتب وأنا حائر لماذا أكتب وقد عاهدت نفسي بألا أفعلها مرة ثانية تعلمين أننا نتشابه كثيرا وهذا يسبب ازعاجا للكون الذي نعيش فيه، قد ارتكب جريمة، من قال يجب أن تبحث عن من يشبهك ؟ فيا للعجب قد بحثت ووَجَدْتك، فأنتِ قدري وها أصبت بلعنتك وأصبحت مريضا بقلبك.

قـد سـئمت مـن مناورتـك ومجادلتـك ، أعتـرف بأنـي عشـقت عنـادك و خيالـك المـرح وبراءتـك الممزوجـة بالطبيعة ولكـن هكذا الواقـع يحتـم علينـا بأننـا سـنفترق ، يـا أللـه مـا هـذه السـخافة لماذا أكرر لفظ «أننا» وأنا أعلم بأن قلبك لن يرافق قلبي؟

حتـى لا أطيـل عليـكِ لـن أنتظـرك ، نعـم سـأقطع شـرايين الزمن كـي لا أراكِ مـرة ثانيـة سـأعود كمـا كنـت سـأتحرر مـن تأثيـرك، لا أريـدك ليـس كراهيـة منـي ولكـن أحببتـك فـي خيالي وسـتموتين فـي حياتـي وهـا هـي الأيـام سـترفق بـي بـلا شـك فاغفـري لـي حبي وعشقي.

***

«عزيزتي ريتا»

أسـال نفسـي دوما ماذا لـو كنـت أعيش بيافـا، وتسـكنين أنـت بحيفا ونلتقـي كل يـوم لنحـارب عدونا، حتى لـو لم نتفـق في حبنا سـنقف كتفا بكتـف لحمايـة أنفسـنا مـن بطـش الصهاينـة، تعلميـن أننـي عاجـز عـن حبـك حتى فشـلت في وصفـه وكيـف أسـتطيع أن أصـف حباً جـاء دون تضحية، نبـت بالسـلم لا بالحـرب ولكن مـاذا بيدي مـاذا أفعل كـي أنال قسطا من حبك، لازلت أحكي للجميع عنك ولازالوا يلومون قلبي.

ذات مـرة قلـتِ لأحدهـم: «كفـاك عبثـا بقلبـي رحمـك اللـه» هل تسـتطيع أن تتمرد على حـب فلسـطينية تعلمت حين تقصـف بلادها،

تنسى أنوثتها وتحمل سلاحا تفدي به وطنها، أنت تبكي على الأطلال وهي لا تعرف شيئا عن البكاء فهل تظن أن الذي مات على يديه عائلته وجيرانه يبكي! ألم ترها ذات ليلة مشؤومة عندما قصف العدو رام الله وظلت هي تبحث عن رفات موتاها لتحتمي بهم من جرم العدو، أتعلم من هي!

هي التي تعيش في كل الأماكن، تطهو الطعام على نيران المدافع، تأكل وتشرب وتتمايل على صوت الرصاص، تهجر من حين إلى حين لتترك أثرا مكانها فتقسم أمام الله بأنها ستعود يوم ما، لا تعرف الخوف أو الفقدان ولا تعرف أن تعيش دون حرب دون مقاومة، كيف تدعي بأنك صنعت معها ماضيا مشتركا وأنت الذي هربت منها ورحلت عنها لتعيش هادئا بعيداً عن الحرب.

***

«عزيزتي ريتا»

لماذا لا نتحدث ؟ ربما عنادا واصرارا مني على اكتشاف ما تشعرين به تجاهي، وعناد منكِ على ألّا تبوحي بهذا السر أعلم طبيعتك جيدا، ولكني مشوش ولدي مبررات تجعلني أطالب باعترافك حتى لو لم يكن في صالحي، دعيني هذه المرة ألّا أخمن بماذا يدور في عقلك ولن أستنتج من صِمَتك أي نتائج قد أخطئ في حسابها.

لن أطلب منك الحديث ولن أتحدث دعيني أراقبكِ في صمت ولن أراوغكِ هذه المرة وسأكون صريحاً مع نفسي أعلن

للجميع بأنكِ ملهمة قلمي الوحيدة في هذا العالم تجعلينني اكتب وكأنكِ شيطان يوحي بالشعر لشاعره، أكتب وأعلم أنك لن تقرأي وسأظل أكتب حتى نلتقي أو نفترق بموت أحدٍ منا، حتى لا أنسى لقد صنعت فنجان القهوة المفضل لكِ كما اعتدت عليه وقد لاحظت على ملامحه الحزن الدامس وكأنه يشعر بِنَا، وصعدت إلى أعلى منزلي أحدث نجمتي المفضلة عنكِ إلى أن سئمت السماء من ثرثرتي فقطعت حديثي بأمطارها الغزيرة.

***

«عزيزتي ريتا»

لقد صار اليوم كما هو مسير له فقد أشرقت وغربت الشمس كالمعتاد وحل الظلام، فلا شيء تغير كما أكنت أظن، من تغير هو أنا، فعالمي ساده الحزن وعمه اليأس ويبست أراضيه وهجره سكانه.

أكتب وأنا مقيد باليأس والندم، ضميري يكاد أن يفتك بجسدي ليحررني من عتمة أفكاري» أحببتك أكثر مما ينبغي أردد هذه الجملة اللعينة منذ الصباح، أصبحت عيناي خافتة وجسدي هزيلا فأقبلت على التدخين كمهدأ قد أدفع ثمنه في المستقبل، فضلت ألا أتعاطي العقاقير فأعلم أنها أكذوبة مثل أكاذيب كثيرة في حياتنا الصداقة، الحب، العدالة، الوطنية جميعها أكاذيب صنعها البشر إرضاءً لغريزته، عندما تشتعل

سيجارتي ويتناثر دخانها أمامي تصنع ضبابا يفصلني عنكِ مؤقتا حينها أريد أن أذهب إلى من ابتكرها لأشكره، الحقيقة لا أعرف أأشكره أم أبغضه وأذمه على استهلاكها من عمري كل يوم، فكرة لعينة عندما ترى عمرك يستنفذ أمام عينيك وأنت لا تستطيع فعل شيء، دعيني أكف عن هذه الثرثرة لأخبرك بأن حنيني إليك يزداد يوما بعد يوم واشتياقي لعينيك وثرثرتك عن أصدقائك وأحداثك وجنونك لا أستطيع التحرر منه ليتني من جيرانك حتى أستطيع رؤيتك كل يوم يا له من قدر ظالم يا ريتا تفصلنا بلاد وبلاد ولكن إيماني بفكرة أن الأرواح تتلاقي وتتعانق تجعلني أتشبث بالصبر إلى أن يأتي اللقاء، أتمنى لو تؤمنين بنفس الفكرة!

في نهاية رسالتي أخبرك بأن اليوم شهد صفقتي الأولي بحياتي فقد أبرمت صفقة مع صديقتي الجديدة اتفقت بأن أسحب منها نفثا وتسحب هي من عمري ما شاءت فليس للعمر فائدة بدونك.

***

«عزيزتي ريتا»

لست في مزاج جيد اليوم والحقيقة ليس اليوم فقط بل بعد فقدانك لاحظ من حولي بأني لا أكون على ما يرام ولكني طمأنتهم واستطعت أن أتظاهر بالقوة تجنبا شفقاتهم، تمنيت أن

أحسن مزاجي ولكن ثمة شيء ينقصني رغم فعل أشياء كثيرة أحبها وأعلم أنها تسعدني، لم أجد حلا منطقيا لهذه الحلقة المفقودة حتى أكمل دائرة سعادتي ربما أخطأت في البحث عنها في عقلي حسنا سأذهب إلي قلبي أملا في إيجاد ما أبحث عنه.

أصبح الأرق خيالي لا يفارقني لحظة حتى متعة النوم فقدتها منذ الأواني الأخيرة وأنا أحاول أن أغمض جفني ولا أستطيع، شيء ما حاجز يمنعها دوما من الإغلاق، فكرت جديا بأن أذهب إلى طبيب نفسي كي يساعدني في الشفاء منكِ ولكن أعلم أسلوبهم الساذج جيدا وانتهي الأمر بالرفض المؤقت متمتما بسخرية (باب النجار مخلع)

لم أكن يوما أتصور أن ينقلب حالي كما حدث كنت دائما أستمع الي ثرثرة المتدربين وأنظر لهم نظره التهويل في الأمور العاطفية وأحاول تنبيههم أن يستمتعوا بحياتهم ويدفنوا ماضيهم ولكن يوما ما تحدثت فتاة وعيناها تكاد تغرق في دموعها لا أستطيع أن أنفذ ما تقول يا رجل كيف لي أن أدفن جزءا مني، كنت أحسب الأمر شيئا هيناً أمثله دائما بعضو ما أصيب فانبتر من جسد صاحبه ليدفن قبله، حتى لا يصيب الجسد كاملاً، ولكن اتضح أن العضو ليس به روح والماضي إذا دُفِنَ يحيا وهو راقد يجذبك تجاهه أكثر فأكثر فلا تستطيع الهرب منه فتستسلم ليحاوط عنقك بمساوئه فتسقط جثة مهشمة بجواره.

انتبهت لحديثها جيداً وهي تتحدث من قلبها وجسدها ينتفض من شدة معاناتها، قطعت الكلام معلنا وقت الراحة، اندهش البعض فيعرفون جيدا أنني لم أهتم بإعطاء أوقات راحة في أغلب تدريباتي وفي نفسي أشعر بالفرح فقد جاء من ينقذني فهربت منهم بشكل لائق.

دخلت المكتب المجاور لقاعة التدريب فجلست على أقرب كرسي لآخذ قسطا من الراحة فقد تعبت اليوم من شدة المجادلات حتى سقطت أذني على:

(بيننا مليون عصفور وصورة ومواعيد كثيرة أطلقت نار علينا بندقية)

أعلم هذا الصوت جيدا فهو دائما من يؤنسني بعد رحيلها رددتها معه باشتياق.

من يعرف مارسيل جيداً يعلم بأن صوته كان مختلفا تمامًا في أغنيته (ريتا) عن باقي أغانيه وكأنه كان يعاني مثلما أعاني منكِ.

***

«عزيزتي ريتا»

تنبأتْ بمصير من يقع في حبك، تلك المرأة الغجرية التي التقيتها في دمشق حين اتجهت نحوي وهي تنادي بصوت أجش

يـا بنـي «سـتقع فـي حـب فتـاة، تكـون لـك موطنـاً آمنـاً فيغـار منـك جيرانها حتى تفتن فتسقط هيَ وتتشرد أنت.

حدقـتُ بهـا صارخـاً مـا هـذه الهلوسـة الفارغـة أيتهـا العجـوز الخرفـاء، اذهبـي مـن وجهـي الأن، لـم تتأثـر الغجريـة بتلـك اللهجة الشـديدة ولـم تهتز مـن صراخـي وظلـت صامتة تنظـر بشـفقة وكأنها تثـق بمـا سـيحدث، رحلـت عنهـا وعقلـي شـارد يفكـر فـي حديثها، لاحظـت بأن قلبـي ينقبض حيـن يـردد خيالي تلـك الجملـة الغامضة « فتسـقط هيَ وتتشـرد أنتَ « ما هـذا العبث الـذي وصلت إليـه، ربما قـد مسـتني بسـحر مـا أو تعمـدت بـأن تبـث الخـوف فـي قلبـي كي أعود إليها مرة ثانية لا أعرف كل ما أشعر به الأن أنني لست بخير.

جلسـت علـى شـاطئ مـا فـي دمشـق لأتأمـل فـي ذلـك البحـر الشاسـع الـذي لـو اشـتدت أمواجـه سـتغرق سـوريا بلا شـك وربما جميـع الـدول المجـاورة، نظـرت بخيالـي إلـى نهايـة ذلـك البحـر فرأيـت ضوضـاء قاهـرة المعـز وأشـباح بغـداد وصـراخ القـدس وبالطبع شيعة بيروت وفتنة اليمن ونيران طرابلس وحيرة تونس.

قـد أحببت يومـا أمجـاد العـرب التـي أصنعهـا بمخيلتي ولـم أثق فـي مؤرخـي التاريـخ فقـد وصفتهـم بجهابـذة السـلاطين ليـس إلا فلا يجب أن نثق بتدوينهم.

رأيـت فـي منامـي حضـارة العـراق العريقـة كيـف كانـت موطنا للعالـم العربـي بـل والغربي ومـا حدث لهـا من فتـن طائفيـة ودماء

شعبها الذي يسيل ولا مداوي له، فلسطين الجريحة كيف ينحني علمها من شدة طغيان العدو وتخاذل العرب في رد شرف القدس، ماذا حدث لهم قد اغتصب وطنهم وانتهك شرفهم حتى مقدساتهم لم تسلم من جرم الصهاينة، لبنان الجميلة قد اختفى جمالها خلف لباس التشيع، حتى تونس الخضراء يبست أراضيها وهمش شعبها بتلاعب ساسة لا فرق بينهم وبين الشياطين، وطن المختار ورحلته المريرة وكفاحه الأليم وأسطورته التي رهبت أعدائه عادت لم ترهب أحدا حتى فداؤه بروحه ذهب عبثاً.

أعلم بأنك تتحسر الآن وأنت ترى وطنك يحترق بيد أحفادك، سيدي المختار لا تتحسر ليس وطنك فقط ألا ترى ماذا يحدث في أراض الفراعنة، بعد أن كانت مهدا للديانات وحاضنة الأنبياء وشاهدة المعجزات أصبحت أرضا صالحة للنفاق، حاضنة للمفسدين، شاهدة على القهر والظلم ولتنظر معي إلى سوريا كيف ارتوت أراضيها حتى ظمأت من دم الأبرياء لقد هاجر شعبها فغرق منهم من غرق وذهب منهم من ذهب إلى أراضٍ حتما سيلقون حتفهم هناك.

كنت أصور دائما أوطاني العربية بريتا فتاتي البريئة التي عشقتها ووقعت في جمالها وعانقت روحي روحها حتى أن فرق بيننا القدر ولم يرد شملنا حتى الآن، كنت أردد فخري للعرب فأنا عربي أرفع

رأسي شامخا وعلمي يرفرف في سماء الكون ولا أحد يستطيع إركاع عربي! إلى أن عاد صوت الغجرية يصرخ في أذني:

«ستقع في حب فتاة، تكون لك موطناً آمناً فيغار منك جيرانها حتى تفتنوا فتسقط هي وتتشرد أنت « حينها انهمرت في البكاء وتمنيت بأن أراها حتى أنحني لها وأحتضن شفقتها.

***

«عزيزتي ريتا»

تعلمين يا ريتا أن فقدانك يشبه فقدان الروح تماماً، حين يأتي ملك الموت ليسحب روح أحدهم ببطء دون أن يدرك صاحبها ماذا يحدث، عملية مؤلمة تحدث في لمح البصر، الروح تنسحب وصاحبها يشعر بالهول الذي ينتظره لكنه لا يستطيع فعل شيء، حينها تتحول حواسه إلى قلبه فيشعر ولا يستطيع الوصف عاجزاً عن الحركة، عيناه ترى ما تعجز أعيننا عن رؤيته، تلك اللحظة الحاسمة التي تتأرجح فيها الروح في سماء الكون لتعود إلى ربها راضيةً مرضية ويفنى الجسد حيث أتى، هذا ما يحدث معي تماما يا عزيزتي كتبت لكِ منذ فترة أن عاشقكِ يفتك الموت بجسده ولا يجد الأطباء دواء يشفيه، روحي قد انجذبت نحوك منذ لقائي الأول وهجرتني ورحلت معكِ حين فراقك عني لم أستطع وصف ما أمر به كل ما أشعر به الآن أنني أصبحت جسدا بلا روح.

***

«عزيزتي ريتا»

كان العجوز يجلس مع ابنه ليحذره من خبث الحياة ويعلمه كيف يتعامل معها، ملامحه المجعدة تبين معاناته الطويلة معها، صوت غليظ يردد بقوة، لا تتركها تهشم عظامك.

قص على ابنه معاناة الرجل الذي أفنى ريعان شبابه في تقمص شخصيات مزيفة كان يعتقد أن السعادة تكمن بداخل الأخرين ثم ضاع كل شيء حين جمعتنا الصدفة ونظرت في عينيه فرأيت بها رحلة طويلة من الهرب، لم أتحدث له حتى خشيّ من صرامة تجاعيدي وحدة نظراتي وجديتها الغير مبررة دون سابق معرفة ثم انتهى الأمر وتحدثت له بصوت يملؤه الشفقة:

يا رجل توقف عن الهرب وابحث عمّا هو أثمن فقد تلتقي بنفسك قريباً «فالباحثون عن أنفسهم هم فقط من يستحقون الحياة»

ثم عاد يذكر، يا بني إن اللحظة القاتلة أنت من تصنعها وتشعر بها وتتألم بأحداثها، ولن تجد ما هو أصعب من الواقع الذي سيمنعك من تحقيق أحلامك، ربما ستحاول مرة، ربما أكثر لكنك ستخضع في النهاية للظروف اللعينة التي ستهيئ لك كل الأدوات الممكنة لجعلك محبطاً، ثم تسلب منك كل كبسولات الآمال لديك إلى أن تغرق، ولن تجد من يستطيع إنقاذك من كل ذلك، قبل أن تحلم تذكر بلحظات الفشل التي ستقسو عليك

وتجعلك منكسراً ذليلاً ضعيفا أمامها، نعم الأمر يشبه فقدان الأم لرضيعها بعد ولادته بدقائق حينما يصيبها الجنون عند سماع أول صرخة في ذاك العالم، فتتخيل هي ماذا ستفعل له عندما يكون ناضجاً كل ذلك في دقائق معدودة خيالها صور لها مراحل طفلها إلى الموت فيحسم القدر كل ذلك معلنا موته فينقلب حالها إلى بكاء ورفض للحياة فيواسيها من حولها وهي لا تزال تنظر إلى بطنها لتبحث عنه.

حقاً لحظة قاسية لم تستطع حفظ ملامحه وربما لم تحضنه، هكذا أحلامك في البداية، سيكون لديك حماس في تحقيقها، قوة تستطيع اختراق العالم بها ، ثم ستفقد كل شيء في لحظات معدودة، ستجد الجميع ينظر إليك بشفقة وأنت لا حول لك ولا قوة.

وتذكر يا بني أن الحياة لا تحلو إلا لمن يتمرد عليها فلا تكن أحمقا مثلي تفعل ما تريده وتعيش كما تريدك أن تعيش، فلا توافقها في شيء، أرجوك لا ترافقها...

تبا لها خبيثة تُزين لنا الأحداث كما نريد، فنلهف عليها بشدة ونتعلق بكل تفاصيلها، نعم ستفرح ستكون مجنوناً بها، تغني وترقص من شدة حبها لكَ، ثم تفاجئك بخبثها وأنت في لذة فرحك، ستقف تائهاً في منتصف الطريق حائراً ماذا أفعل الآن! ما هذا الهراء! أسئلة لعينة ستطرق بابك ليس لها أي ملامح لتفسيرها فقط ستجبرك على الخروج من جنتها كما تدّعي، لن تستطيع

مقاومتها ستسلب منك كل ما تملك وتنظر إليك بعين باردة، ستشعر حينها بالندم عند مرافقتها في البداية.

أشعر بحالك في ذاك الوقت الذي لن يمر، ستكون عقارب الساعة قاسية عليك لن ترحمك، أظنك الآن تفكر كيف أعرف تفاصيل ليلتك فقد رافقتها وخلت بي ثم تركتني وحيداً، لقد كسرت ظهري وجعلتني أتعكز في عز شبابي لا تدعها تفعل بك ما تشاء ولا تثق بها يا بني أنا لا أريدك أن تكره الحياة، فقط أحذرك من غدرها اللعين، لا تخف منها لا تهابها، ألطمها بقوة، تجرأ عليها حتى تتركك وشأنك.

وتأكد بأن العالم يسع لأحلامك، تعامل مع الكون وكأنك تملكه، أنت من تتحكم في كل شيء، تعايش مع صناع الآمال وأصحاب الرسائل القيّمة واغمض عينيك عن المحبطين وأغلق أذنك عن أصواتهم المخزية، قم بتهيئة نفسك لتجلس على عرش القمة ولا تتنازل عن أهدافك أبداً مهما نال الخيال منها، أريدك بأن تحرر عقلك ليسبح في سماء أفكارك ليقتنص المستحيل لتُثبت للعالم أن لا شيء يسمّى بالمستحيل، تخيل بأن العالم بجميع قاراته بيتك وسكانه أقاربك، الآن عليك أن تزين بيتك الجديد ولتلبي نداء أقاربك حتى تترك أثاراً عظيمة في الأرض قبل أن ترحل إلى السماء.

وتذكر يا بني ستقابل أصدقاء يجعلونك تستمتع بالخروج والرفاهية ربما ستكون أكثر تفاهة معهم ولكنهم كذلك، لا يصح

لـك أن تصبح معهم إلا بالفراغ المشـترك بينك وبينهم فاسـتمتع بسـد فراغك، ثـم على الجانـب الأخر سـتجد أصدقاء طموحيـن أصحاب الأحـلام ممن يريـدون إثبـات وجودهـم في الحيـاة وعليك أن تسـير معهـم ولتعلـن عـن أهدافـك أمامهـم هـم يريدون ذلـك فـلا تتماطل معهم هم الأمل لك في الحياة...

ولا أسـتطيع أن أخفـي عليـك سـراً والحقيقـة لـن تسـتطيع أن تعيـش الحيـاة دون التعثـر بهـم سـتقابلك فئة مـن الأصدقـاء يريدون مصالحهم فقط سـتبذل جهـداً كبيراً لمسـاعدتهم وسـيضيع مجهودك في برهـة حتى عند أشـد أزماتك لـن تجدهـم، وأيضاً لا يصـح مطلقا أن تكمـل حياتـك دون أن تلتقـي بأصدقـاء لـن يهتموا لأمـرك عندما تختفـي سـيختفون وعند ظهـورك سـيظهرون وسـتكون لديهـم قائمة مـن المبـررات أهمهـا نحـن منهمكـون فـي حياتنـا وننشـغل بنفـس الأمـور التي تنشـغل بهـا، الغريـب أن الانشـغال يأتـي عنـد اختفائك وهـذا يفضح كذبهـم، ونـادرا أن تجد صديقا يسـتحق لقـب الصداقة، فـي النهايـة عليـك الآن ألّا تبـذل مجهـوداً لأحـد ولا تنتظـر شـيئاً يحـدث ولا تتحسـر ولا تبـوح بأسـرارك سـتكون ضـدك يومـاً مِـن أعزهم لك ولا تفسد حياتك تفهم ذلك.

وإيـاك والنسـاء هـن كالخمـر يذهبـن العقـل ويسـلُبن القلـب ويتحكمـن فـي زمـام أمـورك ويلـك إن سـقطت بالهـوى وعشـقت امـرأة لـم تحبـك حبـاً مماثـلاً، سـتعيش معلقـاً بالهـوى، إن ابتعدت

جذبك أكثر فتقترب، سيحطم الهيام ظهرك فتموت عاجزاً، وإن رزقت بروح تحبك ولم تحبها فلا تتمرد عليها ولا تجرح قلبها والله لن تستطيع العيش أبداً هن إذا جرحن أشتد كيدهن وإنّ كيدهن لعظيم، وإن رُزِقتَ بالحب وأحبتك تلك المرأة فلا تتخلَّ عنها ولا تبتعد، عافر وكن قوياً أمام الحياة فإن استهنت بها ولم تحارب من أجلها سترحل عنكَ، ستُهزَم في جميع حروبك وستُلقى جثة دون هوية، لن يقترب أحد لدفنك ولن يشعر أحد بفراقك...»

حينها تمنيت يا ريتا رؤية تلك العجوز في الماضي لتحذرني من الحياة لعلي حاربتها لانتصر بكِ وأحميكِ منها، لقد صرت أفعل ما تريده ولم أعرف أنها لئيمة كنت أنصت لها من أجلك، لم أعلم أنها تسببت في رحيلك تباً لمن يوافقها ولا يتمرد عليها...

***

«عزيزتي ريتا»

أفتقدك بشدة، لقد تمكن مني المرض وأصبحت هزيلاً عاجزاً عن فعل أشياء كثيرة.

مرضي اللعين لا يُعالَج إلا بكِ، أنا لا أبالغ يا ريتا لست مصاباً «بالكانسر» ربما لو كان ذاك الأمر لأصبحت فرحاً بل إنه الخوف الذي يفتك بجسدي وينمو بدمائي، في الأونة

الأخيرة أصبحت عبداً له، أخاف من المجهول، الفراق، الفقدان، لقد جعلني هشاً منكسراً تذوقت مرارته وفجعته، يحاصرني بشدة حتى فقدت شغفي بالحياة، لقد هجرني الأمل تاركاً اليأس ليعبث معي كما يشاء أصبحت حياتي سوداء كالحة، أشباح هنا وهنا تلعب على أوتار جراحي، تنفرد بعقلي فتجذب مساوئ لم أرتكبها لا أحداً يؤنسني سواها، لقد انتهزت الحياة رحيلك وتركت أشباحها تقاتلني، الخوف يقاتل بشدة، اليأس يسيطر، الفراق يسجنني أصبحت يا ريتا أسيراً ولن يحررني أحد سواكِ.

***

«عزيزتي ريتا»

يسوقنا الماضي إلى دهاليزه المخزية لنرى تجاربنا البائسة، يسبب لنا متاعب كثيرة في حياتنا، لا نستطيع التحرر منها إلا بدفع ضريبة ما فعلناه من قبل...

تعلمين يا ريتا أنني سجين الآن في حضرته، ذاك السجان الذي لا يرحم أبداً، يسلب كل ما أرغب به، يحاصرني بأفكاره اللعينة، يؤلمني ولا أستطيع الصراخ، يقسو بشدة وكأنه ينتقم لأجلك، يؤنبني بكل ذنب ارتكبته ولم ارتكبه، يتركني ألهث بذكرى من ذكراكِ ثم يسقيني عذابها.

يترك كلابه تهتك جسدي وينظر نحوي وكأنني جماد لا أشعر، ظلام حالك وحنين يصرخ في أذني ولا أستطيع حجبه، قد أصبحت جثة تنهش دون رحمة . ضريبة قاسية يا ريتا ولا أستطيع تحملها.

***

«عزيزتي ريتا»

(ماذا لو كان العنكبوت الذي قتلته في غرفتك يظن طوال حياته أنك رفيقه في السكن)

وقعت عيناي على تلك الجملة في كتاب الحكيم الروسي ديستوفيسكي فأصابتني بالهلع الشديد، من منا لم يقتل عنكبوتاً!

هل تعتقدين يا ريتا أننا قد نقتل رفاقنا دون أن نعلم! رفقا يا ألله لماذا أحمل نفسي فوق عاتقها، أنا لم أقتل أحداً، هم من يضربون سهاماً بظهري، فراق وعذاب لا يحتمل، يتسكعون في مخيلتنا، ندب ووجعٌ عليهم وحنين إليهم، ضوضاء تكاد تفتك بنا، من منا لم يفترق، لم تلهمه الخيانة، من منا لم يقتل رفاقه، أصدقاءه، حتى المارة لم يسلموا منا، القتل يا ريتا ليس بسكين فقد عاد السكين بارداً، القتل بالتخلي عن وعودنا، بالأنانية، بالتملك بالخداع وأي خداع لا نعيش به الآن، لم يعد البشر كما كانوا، الفطرة تلوثت بأفعالهم، لا شيء يبقى كما عليه، جميعنا أيدينا ملوثة بدماء من فارقناهم...

***

«عزيزتي ريتا»

وقف ذاك الشاب الحزين أمام المرآة ينظر لنفسه، في مشهد صامت دون حركة بلا جماهير، وجد نفسه هزيلاً، وحيداً ،لا نجاح، لا أمل، لا حياة قد سيطر عليه الماضي وهزائم الحاضر، تلك المرآة اللعينة تعكس كل مساوئه بلا رحمة، يزداد ضعفاً ويشتد عليه المرض يزداد ولا منقذ له، كل شيء فر منه، أحلامه، رفاقه، حتى نفسه، كانت تراوده فكرة الانتحار من حين إلى حين حتى جاءت تلك الأصوات، التي لا يعلم أحد مصدرها حتى هو لم يهتم بمن يتحدث له، أصوات جعلته يلتهم نفسه أكثر فأكثر حتى استعاد قواه، رددها كثيراً حتى حفرها بصوته على جدران حائطه ،من تركك وحيداً يُحرّم عليك، من تخلى عنك وأنت ضعيف لا يستحقك وأنت قوي، من يبتعد عنك وأنت فاشل لا تجعله يقترب وأنت ناجح، من خجل من جسدك وهو هزيل لا يستحق الفخر بك وأنت بطل، الآن عليك أن ترى الجميع وهم يحدقون بكَ أثناء سقوطك لتعرف من يستحق وجودهم عند نصرك»

ربما تلك الأصوات مصدرها أنتِ يا ريتا أعلم بأنكِ ترعين العالم بسكانه وتنقذين كل من ذهب ليزهق روحه...

***

«عزيزتي ريتا»

تصفحت بريدي اليوم فوجدت تلك الرسالة ولا أعرف من أرسلها ربما أرسلت خطئا ولكن كيف وهي تصف حالي وكأن مرسلها يراني حتماً يوجد شيء ما خاطئ، رسائل أجدها كثيراً تصف ما أمُر به ولا أعرف مصدرها، ربما الحياة عادت تحبني وتريد أن أستعد للقائك.

«أكتب لك تلك الرسالة لكي تتخلص من ذاك العبث الذي تعيش فيه.

أعلم جيداً أنك تجلس الآن في حجرتك البائسة تنظر إلى تلك الحوائط اللعينة التي تمنع عنك ضوء الأمل، وعندما تشعر بالملل تنظر إلى أعلى لتجد شاشة يُعرَض عليها جميع تجاربك الفاشلة فتزداد حالتك بؤساً لتقرر نهاية تلك الليلة المضيئة فتطفئ مصباح الإنارة لتدخل في رحلة جديدة مع رفيقك، الظلام الذي لا يرحم أبداً فيعبث بك كما يشاء.

ربما تستخف بهذا الكلام أو أجدك تضحك الآن! لكن أريدك أن تنظر لنفسك في المرآة ليس بعينيك وإنما بقلبك، جرب أن تلمس نفسك من الداخل وتفحص ملامحك التي شوهتها صخور ماضيك.

تعلم لن أعطي لك كأساً من الأمل وأنت تجلس في مقبرتك لتتجرعه بسهولة، ولن أطلب خروجك منها، بل أريدك أن تتحدث مع نفسك! نعم ماذا حدث لكل ذلك؟

قـد تحطـم قلبـك أم تحطمـت أحلامـك، أم دمرتـك أسـرتك؟ أتعتقـد أنك الوحيـد الذي تعيـش تجارب فاشـلة! لماذا تريـد النجاح وأنت لا تسـتطيع تحمل ضريبته! كنـت أراك متحمسـا وأنت تتحدث عـن أحلامك وتعـد الجميع أنك سـتفعل المسـتحيل مـن أجلها وفي أول تجاربـك تخليـت عنهـا واستسـلمت للواقـع وتركتهـا هاربـاً ضعيفاً إلى مقبرتك لتحتمي بجدرانها.

سأدعك وشأنك فزمام الأمور في يديك والقرار لك في النهاية.

دعني أذكرك فقط أن متعة الحياة ليست في استقرارها بل في اضطرابها ومشقة تجاربها المأساوية التي تعيشها لأجل تحقيق أحلامك.

لابـد أن تتذكـر أنـك مـن تعيـش الحلـم بمفـردك ليـس للآخرين شـأن في كل مـا تريـده أو تعاني منـه فقط هـم يشـاهدونك في صمت سيصفقون لك أو سيستهزئون بكَ.

فـي النهاية سـأتركك تقرأ وتتمعـن وأنتظـر رؤيتك خـارج المقبرة أو خبر دفنك حياً.»

ريتـا أخمـن تلـك الرسـالة أرسـلت مـن صديـق مـا يخاطـب بها رفيقه الفاشل في تحقيق أهدافه ...إلخ

كنـت أود أن أكتب لـه رداً لقد أخطئت رسـالتك عنوانها الرئيسـي أعيد إرسـالها ربمـا قد تنقذه مـن الانتحـار، وأريدك أن تراسـلني بمن فقد حبيبته فماذا يفعل؟

***

«عزيزتي ريتا»

لقد تحول عقلي إلى عدسة مكبرة تدقق في تلك التفاصيل والأحداث التي أراها ولست طرفاً بها لكنها تذكرني بكِ.

ركب القطار شاب هزيل ذو لحية سوداء وعينين كئيبتين لم تعرف الأمل أبداً، ظل حائراً يتجول بين عربات القطار ليبحث عن مقعد بجوار نافذة ليهرب بها من أفكاره إلى أن يصل، جلس بحقيبته المريبة التي لا يفارقها أبداً، أخرج منها أدوات رحلته أو أصدقاءه كما يحب أن يناديهم مفكرة سوداء يتوسط غلافها كلمة النهاية، وضع السماعة في أذنه لتفصله عن الواقع وتمنع عنه ثرثرة الركاب ونداء المتجولين وصوت القطار المزعج الذي يوهمه بأن محطته هي القادمة، انطلق القطار يتأرجح على قضبانه الحديدية لا أحد يستطيع الوقوف أمامه!

حينها تذكر الليلة التي ظل يبكي فيها وقلبه ينزف من ظلم القدر وقسوة البشر حين اجتمعوا جميعاً ضده، ليفرقوا بينه وبين حبيبته، لن تتزوجها! وما المانع؟ كل شيء قسمة ونصيب هكذا ظلت هذه الجملة تراوده طوال السنين تجعله يلعن الأحلام ووشوش البشر، كل شيء حتى الجماد لم يسلم من سبه، تذكر صوت صينية القهوة التي سقطت من يد حبيبته حين سماعها لنفس الجملة، سقطت وسقط معها كل شيء دموعها القاتلة حينها شعر بالضعف المميت كيف يتركها تبكي وهو لا يستطيع حتى

النظـر إليهـا، أحـلام تبعثـرت أفـكار فسـدت، قلـوب ماتـت، حينهـا اعتزل الحياة بل لعن الحب واعتزل كل شيء.

تبا لها تجعلنا نحلم وحين نعيش الحلم ترفض وتقف خصما لنا!

أحـداث كثيـرة تعبث بـه كما تشـاء وسـط كل ذلـك وقعـت عيناه علـى شـاب يشـع الأمـل بيديـه فتـاة تنظـر يميناً وشـمالاً تدقـق فـي وجوه الجالسين وكأنها تبحث عن أحد يعرفها!

رغـم خوفهـا مـن المجهـول إلا والفرحة تمـلأ وجههـا الجميل، ظـل ينظـر إليها في شـفقة وكأنـه يريـد أن يحذرها مـن القـدر، حينها تذكـر حبيبتـه عندمـا كانـت تغامـر وتسـافر معـه وتخـاف أن يراهـا أحـد، كان يعشـق جنونهـا، نبـرات صوتهـا وهـي تزيـده بالأمـل، خيالهـا وهـي ترسـمه بخيالـه، كادت عيناه أن تنـزف دمعا فـردد تلك الجملة اللعينة

(كل شيء قسمة ونصيب) ...

***

«عزيزتي ريتا»

تعلميـن أنني عشـقت فيـروز لعشـقك لهـا فأحببت غناءهـا وكنت أعانـق دومـاً صوتهـا فأختبـئ خلـف نبراتهـا، كتبـت لهـا خطابـاً كي تذكرك في كلماتها لتتغني باسمك ربما تعودين بصوتها.

سيدتي فيروز

كيف حالك أتمنى أن تكوني بخير دوماً.

أنا ممتن جداً لجهدك الذهبي في إسعادنا، تعلمين سيدتي صوتك يجعلني أبتهج كطفل فرح بشتاء فبراير يا لكِ من امرأة مدهشة، تلعبين في مخيلتنا كما تشائين، فصوتك يطرق دوما ذاكرتنا ويحيي أشياء ظننا بأنها دفنت ولن تعود.

سيدتي كم أحب تلك الأغنية التي تصفين بها حالي وتختلعين بها قلبي

(كنا نتلاقى من عشيا نقعد على الجسر العتيا) أفتقدها بشدة، أفتقد لقاءها أناجي السنين لتعود فنتعانق لا يحيي أحدا ذكراها سواكِ، كانت ريتا تحبك جدا تبتهج دوما عند سماع صوتك، تعلمين أنها من جعلتني أحبك، كنت أحبها وهي تدندن مع صوتك

«ندهلي حبيبي جيت بلا سؤال

من نومي سرقني من راحة البال

أنا على دربه ودربه عالجمال

يا شمس المحبة حكايتنا أغزلي، أنا لحبيبي وحبيبي إلى)

كنا نتناغم ونرقص سوياً حتى الحياة كانت ترقص معنا، سيدتي أفتقدها كثيراً ولا أستطيع الحياة بدونها أرسل لكِ خطاباً كي تغني كثيراً من أجلي وأجلها، أذكريها بصوتك لعلها تعود ...

***

«عزيزتي ريتا»

ذات ليلة جلست أمام البحر أراقب رحلة غروب الشمس مع أشعتها التي تنعكس على المياه وكأنها تودعنا وتودعها أمواجه، تأملت في عرض البحر كيف يستطيع تحمل متاعب البشر تمنيت لو كنت يوماً كالبحر هادئاً، صامتاً أستقبل كل ما يؤذيني في هدوء فأغرقه.

استغرقت مع أفكاري إلى أن حدث شيء غريب قد وجدت زجاجة تحمل شيئاً تتمايل مع الأمواج وتتجه نحوي، اقتربت منها وحملتها فوجدت خطاباً يصف ما أمر به الآن.

مرحبا صديقي البأس...

أعلم أن الفقدان يجعلك عاجزاً ولا يتيح تمني صدفة اللقاء، أعلم جيداً أنك لا تستطيع التخلص من ذلك الأرق المرهق الذي يرافقك دوماً متقاسماً معك فراش النوم وربما يمتلكه هو ويجعلك تزيف اللحظات الجارحة في حياتك إلى أن تعلن استسلامك له، لقد تملك الشحوب وجهك وأصبحت هشاً تهاب الفقدان وتختبئ عند سماعه، حقاً أنت تعبث بنفسك، كفاك انتظارا فلن يأتي ربما لن ينصفك القدر!

أو قد يكون هو الآخر في انتظار هذه الصدفة اللعينة كي يقتنصها! حتماً يوجد شيء ما يعيق الطريق.

مـا أريـدك أن تلتـزم بـه الآن أن تكـف عـن هـذا الهـراء ولا تنتظر مجهولا ربما لن يأتي.

حتمـاً لابـد ألا تفقـد الأمـل وتنظـر إلـى مـا تملكـه ومـا تسـتطيع فعله واترك كل شيء للمستقبل.

(رسالة لحاملها الآن)

اندهشـت مـن تلـك الكلمـات ومـن كتبهـا وكيـف يعـرف أن الانتظـار يـكاد أن يقتلنـي، وأن الأرق مـروع لهـذه الدرجـة، وأنـي أنتظـرك وسـأنتظرك، مـن يمتلـك القـدرة يـا ريتـا ليعـرف أن القـدر يمانع تجمعنا مرة ثانية...

***

«عزيزتي ريتا»

لا يوجـد حـل سـوى النسـيان قالهـا بـكل ثقـة وهـو يقـف متجهاً إلى مستقبله المشرق كارهاً ماضيه بعد إدراكه أن القدر لا يهزم.

كان يسـير بثوبـه الجديد حتـى أصابتـه مرة أخـرى لعنـة الماضي، وبـدأ عقلـه يعبث بـه وكأنـه عـدوه، حينها علـم جيـداً أن الهـروب ما هـو إلا مسـكن يتجرعـه الضعيـف حتـى ينسـى، فقـرر التصالـح مـع ذاته مستغلاً الماضي بكل ذكرياته المؤلمة.

تعلميـن يـا ريتـا أننـا نبـذل مجهـوداً كبيـراً مـن أجـل النسـيان، ونكـرس طاقتنـا فـي الهـرب حتـى نمحـي هويتنا وننسـى أنفسـنا فلا

نشعر بشغف أحداثنا، ربما لو ظللنا نواجه كل ما نخافه ووجهنا تلك الطاقة لمحاربته سيتغير كل شيء وتتغير معها حياتنا، لكني أعلم بأنني يا ريتا لا أستطيع أن أفعل مثله كيف أواجه نفسي وأنا مفتقدها لديكِ، لا أستطيع أن أتظاهر وأحول ضعفي لقوة بدونك، جميعهم يهربون ليجدوا حياة تسعدهم وأنا أهرب لأجدك.

***

«عزيزتي ريتا»

كيف يشعر بنا الأخرون دون أن نتحدث إليهم، راسلني صديقي حليم تتذكرينه جيدا فقد عانى كثيراً بمتاعبنا.

كيف حالك يا رفيقي! أتمنى أن تكون على ما يرام، لا أعرف لماذا أكتب لكِ تلك الكلمات ربما أشعر بأهميتها الآن.

في يوم ما ستفقد كل ما تملك وينحني ظهرك وتتلوث فطرتك حتى البراءة التي كانت تشع من عينك أملاً يرافقك ويضئ لك طريقاً للحياة سيفسد متحولاً إلى أشعة ملغمة باليأس، ستنفجر في عقلك لتصيب كل خلية وتترك الأخرى كي تتذوق طعم الذل ولن تموت، ستتمنى حينها بأن تنفجر في جسدك لتتخلص من كل ذلك، ولن أخفى لك سراً ستسجن في عالم أسود ملئ بالأفكار البشعة لتقيدك بأغلال من أحقر كرات الشر التي لن تستطيع التحرر منها إلا بعد تذوقها، الحياة مظلمة

لا نهـار سـتصاب بنوبـات الضيـاع والفقـدان وهشـة الجسـد لتصبح رفـات إنسـان سـجين سـجن نفسـه فـي مقبـرة وألقـى مفتاحهـا فـي بحيرة أصابها الجفاف.

وبالرغـم مـن كل ذلـك سـتحاول مجـدداً اسـترجاع قوتـك ليـس إرادة منـك يـا رجـل بـل هـذا طبـع البشـر أرواحهـم عزيـزة والحيـاة لديهـم أعـز، ولكـن سـيردك القـدر ذليلاً إلـى سـجن أفكارك ليفسـد عليـك حيلتـك ثـم يأتـي صـوت هـادئ يهمـس فـي أذنيـك كفـاك يا رجـل عبثـاً بنفسـك ألا تريد الخـروج من هنـا! ألا تـرى بـاب فرارك إنه أمامك.

ما هذا الهـراء أنت أعمـى؟ إنه هنـاك ينتظـرك ليرحب بـك ترحيباً يليـق بأمثالك، باب، بـاب الخـروج كيف ومتـى! لا تقلق يـا رجل أنا أرافقك منـذ بداية رحلتـك والآن أهنئك لقـد أصبحت جاهـزاً للحياة الجديـدة سـأعيدك رافعـاً رأسـك سـتكون قويـاً ويهابـك الجميـع سيسطر عليك هذا المنقذ بكل أدواته اللعينة

(ويـا ليتـك تعلم بـأن البـاب الـذي يسـوقك اليه هـو بـاب الحياة الملطخة بالدماء التي تنتظرك لتريقها في كل بقعة تخطو بها.)

إنـه شـيطانك اللعيـن وطريقـك الـذي لـن تسـتطيع الرجـوع منه أبـداً، إعلـم بأنـك لـن توافـق بعـد أن تهمـس الفطـرة فـي قلبـك لا تفعل ذلـك كيف يسـاعدني فـي الخـروج ولم يسـاعد نفسـه! ولكن سـيعود إليـك مسـرعاً أعلـم أنـك قلـق مـن ذلـك العـرض المغـري

والآن أنـت صاحب القـرار إما أن تمـوت هنـا أو تأتي معي لنسـتعيد مـا عشـت إليـه، ويعلـوا صوتـه، لمـاذا لا تريـد أن تأتـي أتخـاف من ارتـكاب بعـض الذنـوب البسـيطة كـي تتخلـص مـن هـذا السـجن اللعين!

أليـس الله غفـوراً رحيمـاً ألا تؤمن بأن بـاب التوبة ينتظـرك في أي وقت!

حقـا أنا أوافـق على إبـرام الصفقـة الرابحـة دعنا نرحـل وأنا معك ولتفعـل بـي مـا تشـاء، وبعـد أن أبرمـت الصفقـة وقبـل الخـروج من السجن ستجد صندوقا به أوراق قديمة مكتوب على أحدها:

(عندمـا تجدنـي اعلـم بأنـك اسـتطعت إنقـاذ نفسـك مـن الشـر المنتظر)

المرسل

صديقك المخلص حليم

***

«عزيزتي ريتا»

ذات ليلـة كنـت أجلـس فـي الحانـة أتجـرع الخمـر كأسـاً فكأسـاً ليخـدر أحزانـي، فوجـدت فتاة فـي ريعـان شـبابها تمتلك صوتـاً عذباً

كالخمر الذي أتجرعه، نظرت في دهشة حقاً أنها تشبهكِ يا ريتا ذهبت إليها وجلست أمامها أستمتع بنبرات صوتها، بيديها عود تعزف عليه وكأنها تعزف على أوتار قلبي، تجمهر الجميع حولها يسكرون بصوتها، يتراقصون بعزفها، خدرنا جميعاً فتعالت الضحكات والصيحات وهي لازلت تزيدنا عزفا كمجانين لا نشعر بما نفعله ولا نريد أن شعر لا نريد أن تنتهي تلك اللحظة سوى بانتهاء عمرنا، كان المشهد يبهجنا ويحزن من لم يتجرع مرارة الفقدان وهل أجد أحداً يختمر دون فقدان، تعلمين يا ريتا أننا في الحانة أهدافنا واحدة أحلامنا واحدة جراحنا واحدة، جميعنا نحلم بعودة الراحلين، أهدافنا نشرب لننسى آلام الحنين، جراحنا كانت بيد أحبابنا، لا نتحدث لا نثرثر فقط نجلس لنشرب فنغرق فننسى.

***

«عزيزتي ريتا»

الحياة لم تعد صالحة بالمرة، قد تعفنت بفساد نفوسهم، قلوبهم تحجرت بكفرهم، أجساد تحمل أرواحاً شريرة تختبئ خلف أقنعة مزيفة، ومن يمتلك تلك الأقنعة يحيا سعيداً وكأنه سيخلد، حيوانات مفترسة يأكلون لحوم بعضهم بل أنفسهم، عقول جاهلة أفسدوا كل شيء.

لا أستطيع العيش بينهم، لست مخادعاً أو ماكراً لأتأقلم معهم، تعلمين أنني أحب الخير وأعشق جمال الطبيعة وقد صار الجمال

قبحاً وأصبح الخير شراً ولوث العالم بأيديهم، والباطل عدلاً، والقوي يبطش، والضعيف يقتل ولا أحد يبالي.

لم يعد مكان لنا في تلك الحياة دليني على موطنكِ يا ريتا! كيف آتي إليكِ، لا أعرف أحداً غيرك.

***

«عزيزتي ريتا»

الماضي لا يتركنا ولا نستطيع أن نرحل عنه حتى تلك الفتاة التي كانت تلهو داخل حلماً صنعته بنفسها مختبئة خلف ضباب زائف كي تطمئن أنه لا أحد يستطيع رؤيتها أو يفسر ما يحدث لها، كان الجو لزجا وممزوجا بأحلام وأماني وروائح تجعلها تسترجع شبابها وإذ يظهر لها شبحاً لعيناً أفسد كل ذلك لتكتشف بأنها لازالت في الماضي الأليم ولا مفر منه.

ذلك الشبح هو من يفسد حياتنا، يظهر لنا في كل اللحظات التي ننتظرها لتخفف علينا حياتنا.

يستحل دماء أحلامنا، يريق بهجتنا، لا نراه بأعيننا لنحاربه، بل يغتالنا دون أن ندرك يسيطر علينا جميعاً دون أن نشعر به، ذاك الشبح اللعين يروّعنا بماضينا يعود بنا إلى سقطات حياتنا فنغرق بها ولا نجد من ينقذنا.

***

«عزيزتي ريتا»

أعلم بأنني استحق ذاك العقاب الشديد، صرت لا أتحمل أي مسئولية طوال حياتي حتى أنتِ يا ريتا لم أحارب العالم من أجلك، كانت الظروف قاسية فأعلنت لها استسلامي من أول جولة.

لكِ الحق بألا تعودي فأنا من تخليت عنكِ كنت مشوشاً أخاف أن أقف صداً للرياح فتفرقنا.

تلك الحكمة اللعينة تكاد أن تهشم عقلي.

«أذ لم تغامر من أجل ما تحبه لا تحزن عند خسرانه»

ما هذه السذاجة كيف لا أحزن ولا أعنف نفسي كل لحظة، ماذا كان بي عند خسارتي لنفسي لأقف أشاهد في عجز، لماذا لا أغامر لقد رحل كل شيء، رحل هارباً من جبني، فرت أحلامي من قبل وها روحي ذهبت معكِ والآن جسدي يذرف في دموع الندم.

أناجي الله كل يوم بأن يجعلك تغفرين لي خطيئتي، الله غفور رحيم يسامح من يرتكب الذنوب وأنتِ يا ريتا اغفري لي فلا أستطيع تحمل سكاكين الفراق، تذبحني كل ثانية فتحيني ذكرياتك لأذبح مرة ثانية، أناجيكِ بأن تقبلي خطيئتي فأنا متيم بقلبك.

***

«عزيزتي ريتا»

لقد تكرر في منامي ذاك الحلم الغامض ولا أجد تفسيرا له ، حلما كئيبا أخاف من النوم حتي لا يراودني قط، قد يأتيني ليدلني علي مكانك أو حتي يبلغني بأنكِ لست علي ما يرام لا أعلم ..

أراكِ وحيدة كوردةٍ نبتت في جبال جرداء لا زرع بها ولا ماء خاويةُ قاسيةُ عليكِ مهجورة ولا أحد يضل الطريق فيأتي ليخفف عنكِ.

وردة صغيرة تريد أن تنمو لتتفتح أوراقها فتعيد الروح لتلك الجبال اللعينة..

كانت الوردة تنظر من حين إلي حين ربما تجد أحدا يحتويها ويضمها نحوه فيحميها من قسوة الحرارة ، أري نفسي كإناء فارغ يجلس أمامكِ ولا أستطيع فعل أي شئ لأنقذكِ من الموت أنظر إليكِ في حسرة وتنظرين نحوي في شفقة ولا تعلمين أنني فارغ ولا أمتلك شيئا لأساعدكِ ..

أراكِ تتألمين تتساقط أوراقكِ أمام عيناي وتنزفين دمعا ،قد ضل الطريق مسافر وظل يسير نحونا حتي جاء إلينا وجلس بجوارنا كان يظن بأنه سيجد مخرجا له حتي تعب ولم يكن لديه ماء ليرتوي به فتسقط منه قطرات لنتروي معه، فرح فرحا شديدا

عندما وجدني بجواره ويأس عندما إكتشف بأنني فارغ بلا قيمة ، نظر لنفسه في حسرة ونظر إليكِ في دهشة ما الذي أصاب عقل تلك الورد لتنبت في تلك الأرض الجرداء أمام ذاك الإناء اللعين، يأس من كل ذاك العبث ولم يجد شيئا لينقذه فاستسلم هو الآخر وأصبحنا ثلاثة نعاني من شدة الأيام لم يستطع التحمل فذهب نحوكِ وأمسك بأوراقكِ ليأكلها، هذيلة أنتِ وضعيف أنا ولا أستطيع أن أنقذكِ من يديه ولاتستطيعين الفرار منه .

ماذا بكِ يا ريتا ، أين أنتِ ماذا أصابكِ لأحلم ذاك الحلم كل كل يوم ولا أستطيع تفسيره أو حتي طريقا لأصل إليكِ، أخاف أن أبحث عنكِ في جبال العالم فأضل الطريق وآتي إليكِ فأجد أوراقكِ مبعثرة وأراكِ جثة راقدة واكتشف بأنه قد فات الاوان حينها سأصرخ سأمزق جسدي لتأكله الأرض وأدفن بجوراكِ ولن أسامح نفسي أبدا..

***

«عزيزتي ريتا»

تعودنا أن ننعي أنفسنا والأخرين عند فقدان أحدهم، نحزن أو ندعي الحزن نجلس في صمت نتذكر ذكريات مشتركة تذكرنا بهم، في النهاية ننسي مع الأيام وكأن شيئا لم يحدث، هكذا طبيعتنا البشرية لا يوجد وقت لتذكر ما قد مضي ..

الأمـر يختلـف مـع فقدانـك لا أسـتطيع نسـيانك لا أسـتطيع أن أصدق مـاذا يحـدث لنا ، أنـام وأسـتيقظ وكأنـكِ تجلسـين بجواري، ترافقيـن أحداثي لسـت متأكدا من سـلامة عقلـي فالجميع يؤكـد بأننا إفترقنا وأنا لا أصدق كيف إفترقنا!

مـاذا سـأفعل ياريتا كي أنسـاكِ ، كيف أنعي نفسـي بفقدانـك ، ماذا سأفعل وأنتِ المفقودة وأنا الباحث عنكِ ..

الحب يقسـو علي سـكانه وكأنهـم أذنبـوا عندما أصيـب قلبهم به، فلـو كان الحب قاسـياً بـذاك الشـكل فكيف للعشـق أن يفعـل بهؤلاء العشـاق ، نعـم أصارحكِ بأنـي كنت مخطئـا عندما عشـقتكِ وتدينت بدينـك هـذا عقابٌ مـن الـرب فكيـف أعلق قلبـي بغيـره، أشـهد الله بأنـي ضعيـف أمامـكِ وليـس لـي سـبب فـي ذلـك ، قلبي من عشـق ولسـت أمتلك القـوة لأمنعه عن عشـقك ، لسـت حكيما كـي أغمض عينـيّ عند رؤيتـكِ، الأيـام تفقدني شـغفي تجردنـي من فطرتـي ، قد تلـوث قلبـي وتدعونـي الآن كـي أكـره ذاك اليوم الـذي عشـقتكِ به ، تلك الصدفة اللعينة التي تسببت في لقائنا ولا أستطيع فعل شئ..

***

«عزيزتي ريتا»

يخفق قلبـي كل لحظـة ويمتنع عـن نبضاته من أجلك، لا يسـتطيع القيـام بوظائفـه بفقدانـك ، اضطـراب يعيشـه ولا أحـد يسـتطيع إنهاء

كل تلك العواصف إلا أنتِ ، ذهبت إلي طبيبي الخاص لم يجد سببا في أشعة القلب ليخبرني به ، قال واضحا ، لم يمرض قلبك بل أراه ينبض في توازن ...

في الحقيقة لم يخطئ الطبيب وكيف يري سبب كل ذلك في تلك الاشاعات اللعينة ، أي جهاز بشري يستطيع رؤيتكِ بداخل قلبي ..

كم مريضٍ ذاق العذاب وقضي عليه الإنتظار بسبب فراق من يحب ولم يستطيع الأطباء شفاءه

ريتا لا أستطيع أن أحيا وأحلامي مبعثرة ولا أعلم عنها شيئا ، الحياة باردة وزائفة بدونك

أدعو الله كل يوم بأن تحرريني من كل ذاك البؤس اللعين وتجمعي أحلامي وتشفي قلبي وتجففي دموعي وتنقذي روحي من هول الفراق..

***

«عزيزتي ريتا»

أصبحت شاعرا كاتبا حكيما ناجحا بحبكِ ، قد صدق ذاك العجوز الحكيم أفلاطون عندما قال « كل إنسان يصبح شاعرا عندما يلامس قلبه الحب»

كنت لا شيئا بدونك ليس لي هوية أو وطنا بلا قيمة بلا هدف حين لامس قلبي حبك ولدت من جديد رأيت الحياة بشكلٍ مختلف ، أصبحت قويا لدي من الطاقة الكافية لإضاءة العالم ، تأكدت حينها بأننا نولد مرتين مرة عندما تلدنا أمنا و الأخرى عندما يلامس قلوبنا الحب..

الحياة جميلة بكِ الأحداث مثيرة ببطولتكِ لكن الأيام ترفض كل ذلك ، الحب وحده لا يكفي لإستمرار الحياة، لا أعرف لماذا أذكر نفسي بتلك الأيام الجميلة وأعلم أنني الآن أعيش متألما بقسوتكِ وقسوتها، ماذا لو لم تهجريني فقد كان كل شئ علي ما يرام ، لماذا أعطيتني كل تلك القوة والفرحة وفجأة ضاع كل شئ أصبحت هزيلا ضعيفا أبحث عن من يمدني بالحياة ، أصبحت أميا فاشلا لا أستطيع القراءة ولا الكتابة بدونك ، نلت الحياة منكِ وسلبتي مني كل شئ وتركتيني وحيدا ولا أستطيع العثور عليكِ ..

***

«عزيزتي ريتا»

لم ولن يعود شيء هكذا كان المشهد من أقبح زواياه ستظل عالقا في المنتصف ، لن تري سوي الضباب الباهت فيذكرك بذكري لعينة تظهر لتحيي ما دفن من قبل ، فتري وجها قبيحا يجذبك نحوه وشبحا آخر يشدك نحوه فتسقط ممزقا، ليتكرر ذاك المشهد كل يوم ولن يعود شيئا ولن ترى سوى ما تراه..

إن أحببت ستفقد حبيبتك يوما، إن حلمت ستقيد الحياة أحلامك، إن أردت أن تحيا سيطاردك الموت في كل مكان ، العالم فاسد ونفوس البشر أصبحوا مثله، تبا لكل شئ ، للحياة للبشر تبا للجميع..

تعلمين يا ريتا ماذا أريد الأن! أريد ملايين العازفين ليصنعوا ألحانا كثيره ومقطوعات صاخبة ولن يستطيعوا وصف ما أشعر به الآن بدونك ، سيعجزون عن وصف الأيام لن يخففوا آلالم الماضي وجراح تعفنت وليس لي سوي أنتِ والموت ..

***

«عزيزتي ريتا»

لم أكن أعلم بأن العالم سيفني بوجودك ويبدأ عالم آخر مع أول بسمة ترسم علي شفتيكِ ، لم أحب ذاك العالم اللعين قط ولا أريد العودة إليه ، أريد عالمكِ أنتِ هل تسمحين بأن أتخذه موطنا ووطنا يحتويني ، أعلم أن الامر قد يصبح ساذجا فمن أنا كي أنال شرف وطنك ، أطمع في كرمك كثيرا، لا أريد سوي كوخا صغيرا أعيش بمقربة من عينيكِ حتي إن عطشت فارتوي بها حتي أظمأ..

تعلمين ياريتا أن الحب هو العالم الذي يرتقي بسكانه ويطهر قلوبهم ويعلو بأرواحهم ليعيشوا به في هيام وسعادة لن تنتهي ، وأنا أريد أن أنال كل ذلك نعم أطمع في كل ذلك، ياريتا القلب

ينجـرف بالعين التـي لا تبكي ، وعيناي تـكاد أن تغرق قلوبـا بأكملها، وأنت لاتشعرين بما يحدث لقلبي ..

***

«عزيزتي ريتا»

أتمنـي لـو كان الألـم مـادة تفسـد آلـة الزمـن فأقـف عنـد مولدي ولتنتهي كل هذه المهازل.

لماذا لـم أمت عنـد مولدي وأدفـن ولم يحـدث كل شـيء، قرأت يومـا تلـك الجملـة «وإن أصابتـك لعنـة الحـب وضـاق بـك الحال، فاصبـر وإيـاك وطريـق الانتقـام فمـن عشـق أصبـح قلبـه طيبـا ومـن جرح أصابته لعنة الحقد..

أخـاف أن يتحـول حبـي لـكِ وعشـقي لنـارٍ تحـرق جميـع مـن حولـي، أهـاب أن تتغلـب علـي قسـوة الأيـام فأتحـول مـن محـب لـكاره ، أنـا ضعيـفٌ بـكِ ياريتـا أتـكأ علـي حبـك علـي ذكـراكِ ولا أسـتطيع فعل شـيئا سـوي التذكـر لا أريد النسـيان حتـي لا أصبح ضعيفـا أدعو اللـه كل يـوم أن تأتيني في أحلامي لأسـتمد القـوة منكِ فأتغلـب علي وسـواس عقلـي، لـم أنكسـر يوما قـط لكنـكِ حطمت ظهري جعلتيني منسكرا ولن أستطيع الوقوف مرة ثانية.

***

«عزيزتي ريتا»

كنت أحتسب الأمر سهلا في بداية الأمر اعتقدت بأن الجبال لا تهتز وأنها تستطيع حمل ما لا يتحمله أحد كنت ساذجا تماما كيف أتصور ذاك التصور وهي أبيت أن تحمل الأمانة عند عرضها عليها وحملناها نحن ، حتي السماء والأرض أشفقنا عليهما من ضعفهما فكيف أن أستمد منهما قوتي، كنت أشبه نفسي دائما بها حقا إنها قوية لا يستطيع أحد تحريكها تقف أمام الجميع رافعة الرأس لا تهزم أبدا .

كنت أري نفسي في المرآة بأني أستطيع تحمل كل تلك الفوضي التي تعبث بي ، جسدٌ قويٌ يستطيع مواجهة أي شيء دون خوف من النتائج لا أحد يستطيع إركاعي لا شيء يعكر صفو حياتي لا أتأثر لا أهزم حتي أن أصابتني لعنتك فحولت من جبل صلب إلي رمال تعبث بها الرياح كما تهوي وتبعثرها من مكان إلى مكان.

***

«عزيزتي ريتا»

تعلمين أنني أكره المتفائلين في الحياة وأصحاب الآمال الكاذبة الذين يعطون القوة لنا ويكثرون في أحاديثهم عن الطموح والعزيمة أكل ذلك هراء لم أحبه ولا أستطيع تحمله ، كلام زائف

مصطنع يسخرون به منا ويستهزؤن بعقولنا ، في الصباح رأيت تلك الجملة علي غلاف كتاب من هؤلاء الأوغاد..

والقوة تأتي لأصحاب التجارب اللعينة، تلك التجارب التي تنسفك في لمح البصر فتسقط من أعلي لأسفل وتغرق ، نعم ستغرق علي البر وليس في عمق البحر ، تنهال عليك السخرية كيف لبشر يعوم في شبر من الرمال لا المياه ، تري اللعنة أمامك في كل شيء ولن تكره ستنقذ نفسك حتما لتصعد حيث سقطت..

تعلمين ياريتا تمنيت بأن يقع هذا الكاتب في حبك ليشرب من ذاك الكأس العذاب اللعين الذي أتجرعه كل يوم ،حتي يعلم بأن من يسقط لن يستطيع القيام مرة أخري بأن من يغرق لن يستطيع إنقاذ نفسه بأن الميت لن يحيا مرة ثانية ..

***

«عزيزتي ريتا»

تعلمين يا ريتا بأن شمساً كان يحب صاحبه ولا يقصد أن يتركه ويرحل عنه دون عودة ، لم يسلب أبدا روح مولانا الرومي ليشعره بالعجز حتي التبريذي نفسه عاني كثيرا لفقدان روحه حين ترك مولانا، هم لم يسلبوا بل سلبوا نعم صغيرتي إنها لعنة الأرواح التي تلتقي بمن تشاء وتتعانق مع من تشاء وتذهب معا دون تدخل أصحابها..

تمهلي فأنا لست الرومي ولا أري التبريذي بجواري أراكِ أنتِ ياريتا ، أحدق بكِ لتسحبني رموشك فأغرق بعينيكي فتلقيني أمواجها جثة راقدة أمامك، أحبك تحبيني هل تسخرين مني! ما فائدة الهواء لغارقٍ في الماء وماذا تعني الحياة لجثة راقدة تحت التراب، لعنة تصيب أعماقك أو فيضان يضرب أمواجكِ فيغرق الجميع مثلي. ليعلموا أن عشقكِ ليس هيناَ

أكرر كل يوم في المساء تلك الأغنية التي تخدر جراحي ربما صنعت لتداويني.

أمرّ على الأبواب من غير حاجة

لعلي أراكم أو أرى من يراكم سقاني الغرام سقانى الهوى كأساً من الحب صافياً

ياليته لما سقاني سقاكم .. ياليته لما سقاني سقاكم.

***

«عزيزتي ريتا»

كنت أخشي من ما يسمي بالحب فأخاف أن يصيبني الهوي وأصبح من ضحاياه .

تعودت أن أهرب وأفر من ذاك اليوم الذي يلتقي قلبي بقلبا يقع في حبه فلا أستطيع التحكم فيه ولا التغلب عليه، أعترف

بأنني جبان وأعجز عن معالجة أموري العاطفية ورحم الله امرؤا عرف قدر نفسه ولذلك كنت أهرب إلي أن التقيت بكِ لم أمتلك المزيد من الوقت لأهرب أو أغمض عينى كي لا أراكِ، كنت أخشي أن يصيبني الهوي والآن أصبحت ضحية لا حول ولا قوة ، ليت القدر لم يجمعنا يوما أبدا، ليتني مت قبل هذا لست أملك من صبر أيوب لأتحمل كل ذلك العذاب لست أملك أمل يعقوب في لقاء يوسف حتي أنال لقاءك مرة ثانية، لست أملك أي شيء لا أعرف ماذا سيفعل القدر لنا سيجمعنا أو سيموت أحدنا قبل أن نلتقي..

***

«عزيزتي ريتا»

أبلغ عزيزا في ثنايا القلب منزله، هي أمنيتي الأخيرة، أتمني أن تشعري بما أشعر به ، أتمني بأن يقابلكِ أحدهم ليبلغكِ بأنكِ لازالت مكانتك في قلبي رفيعة بأنني أحيا علي أمل بأن ترسلي لي أحدا ليبلغني أنكِ لازلتِ تحبينني.

أريد أن أطمئن عليكِ لا أريد أكثر من ذلك ..

حنيني إليكِ يزداد يوما بعد يوم يغلبني وقد غلبني وسرق النوم من عيني فلا أستطيع تذوق الراحة قبل أن أطمئن عليكِ ، كيف أبلغكِ بكل ذلكِ، من يدلني علي طريقٍ أصل به وصالك لأنظر

لعينيـك أثـق بأنها ستشـعر بـكل شـيء ، أثـق بالله بـأن اللقـاء يقترب لكني أخـاف أن القاكِ بعـد أن أفقـد عينيٍّ من ألـم الفـراق ، أخاف أن ترينـي ضعيفا محطما بـلا أمل لا أسـتطيع حمايتكِ فتذهبـي وتتركيني وحيدا مرة ثانية..

النهايـــــة

دعوت اللـه بأن أتـذوق كأس الهـوى علـى يديك وتذوقتـه والآن أتوسـل إليه بـأن يتـم تغسـيلي بـذاك الـكأس وتكفينـي بالثيـاب التي ارتديتهـا عنـد أول لقـاء بيننـا، لا أريـد أحـدا يقـف بجـواري عنـد رحيلـي، لا أريـد سـواكِ، لـن يعتني أحـد بجسـدي مثلك، سـيتعامل معي الجميـع كجثة راقـدة لن تتأثر بقسـوتهم أمـا أنت ستشـعرين بما أمـر بـه الآن فلـن تصدقـي موتـي، سـتجعلينني جثـة مزينـة طاهـرة ببراءتـك، لقد سـلمت لـك روحي وأنـا حيٌ فكيـف لا أطمئـن عليها وأنا ميت، أثق بك كثيرا بأنني الآن في يديك الأمينتين .

وداعا ريتا

السَّعيد
للنشر والتوزيع